القسم الأول
الجانب النظرى

تتكون الرسالة عادة من مقدمة ، وصلب الرسالة ، وخاتمة . وقد يكون لها تمهيد ، وقد يضاف إليها بعض الملاحق .

وبهذا ينحصر الحديث عن الجانب النظرى للرسالة الجامعية فى خمسة موضوعات هى :

١ – مقدمة الرسالة .

٢ – تمهيد الرسالة .

٣ – صلب الرسالة .

٤ – خاتمة الرسالة .

٥ – ملاحق الرسالة .

مقدمة الرسالة

المقدمة ، كما يدل اسمها ، هى أول ما يطالعه القارئ ، وإن كانت آخر ما يكتبه الباحث ، ولا بد من أن تكون آخر ما يكتبه ، لأنها لا تتم بطريقة صحيحة ، إلا بعد أن يكون الباحث قد انتهى من عمله ، ويستطيع حينئذ أن يتحدث عنه ، وعن بداياته ، وتطوره ، ونهاياته .

وإذا أحسن الباحث كتابة المقدمة ، فإنه يحسن إلى صورة رسالته فى ذهن القارئ ، وإذا أساء كتابة المقدمة ، فإنه أيضا يسىء إلى صورة رسالته ، ومن هنا يجب أن تنال المقدمة العناية الشديدة ، وأن يمنحها الباحث الوقت الكافى ، لكى تبدو فى صورة متكاملة وشاملة ، وتعطى القارىء انطباعا حسنا .

على أن هذا الانطباع الحسن يجب أن يستمد من قيمة الرسالة ، بمعنى أن الرسالة هى التى تعطى المقدمة مشروعيتها ، فبعض الباحثين قد يكتبون مقدمة جيدة ، ولكن الرسالة فى الداخل هزيلة ، وهنا يحس القارئ ، وخاصة المشرف أو المناقش ، ان الباحث يحاول أن يخدعه ، وأنه غير جدير بالأمانة العلمية ، التى تقدم الشىء المناسب للعمل المناسب ، وإذا تنامى هذا الاحساس عند القارئ ، وخاصة المناقش ، فإنه يستفزه ، وقد يحوله إلى طرف معاد للرسالة .

وهناك خطأن رئيسيان يقع فيهما الباحث عادة عند كتابة المقدمة .

فقد يستعجل الباحث ، وخاصة فى بداية حياته العلمية ، فيكتب المقدمة قبل أن ينتهى من رسالته ، ومن هنا تأتى ضعيفة لا تتميز بالشمولية ولا بالدقة .

وخطورة هذا ، أنه يصعب على الباحثين ، حتى المتمرسين منهم ، أن يتخلصوا من شىء قد كتبوه ، فالشىء بعد أن يكتب يصبح له شخصيته ، التى تفرض نفسها ، ويصعب التخلص منها ، خاصة وأن الباحث فى بداية حياته ، يشعر بتعاطف شديد نحو كل ما يكتب ، ويعتبره جزءا منه لا يشعر برغبة فى بتره ، حتى لو حاول أن يعدل أو يحسن ما كتب ، فإنه يبدو على عمله شىء من الترقيع أو التكلف لايجعله يظهر بالمظهر الطبيعى .

ان عملية البحث هى بالدرجة الأولى تدريب على الصبر والمران ، ذلك هو الدرس الأول الذى ينبغى على الباحث أن يعيه قبل كل شىء ، فلا يسارع إلى كتابة شىء إلا بعد أن يتمثله ، ولا يندفع إلى كتابة المقدمة إلا أن تكتمل الرسالة أمامه .

هذا عن الخطأ الأول ، أما الخطأ الثانى فهو أن الباحث عادة ما يكتب مقدمته بعد

الإنتهاء من الرسالة،وهنا يكون التعب قد أدركه ، وداخله إحساس ملح بأنه قد فرغ من رسالته وعليه الآن أن يستريح ، فيكتب المقدمة والخاتمة والملاحق وغير ذلك من "تشطيبات" أخيرة ، فى عجلة من أمره ومن باب "تسديد الخانة" ، فتأتى المقدمة مثلا بسبب ذلك هزيلة لا تضيف شيئا ، تكتفى بتلخيص بعض نقاط الرسالة ، وغالبا ما يعتمد الباحث فى ذلك التلخيص على فهرست الرسالة .

فالمقدمة إذن ليست شيئا هينا يمكن عمله بخفة شديدة ، بل هى شىء حيوى بالنسبة للرسالة ، فهى التى تعطى الانطباع الرئيسى نحو العمل ، وبعيدا عن الرسائل الجامعية أعرف بعض المثقفين ، يشترون الكتاب ويقتنونه من خلال التصفح السريع لمحتويات المقدمة ، وأعرف بعض الإعلاميين يستعرضون الكتاب من خلال قراءة المقدمة فقط .

* * * *

وهنا نصل إلى التفريق بين المقدمة والتقديم .

المقدمة هى ما يكتبه صاحب العمل لكى يعرف بعمله .

أما التقديم فهو ما يكتبه شخص آخر غير المؤلف ، ويسبق عادة المقدمة فى الترتيب .

وقد يجتمع التقديم والمقدمة فى عمل واحد .

ولكن الرسائل الجامعية لا تتطلب التقديم ، لأنها مشروع عمل تحت المناقشة ، وقد يجاز وقد لا يجاز . والتقديم عادة لا يكون إلا لعمل قد انتهى منه صاحبه ، وأصبح هناك مجال لتقويمه ، ووضعه فى دائرة المساءلة .

ويمكن للرسالة بعد أن تجيزها لجنة المناقشة ، ويدفعها صاحبها للنشر فى كتاب مستقل ، يمكن حينئذ أن يكون لها تقديم ، وغالبا ما يكون هذا التقديم بقلم المشرف ، لأنه شريك الباحث فى صنع الرسالة ، وهو على بينة يقينية بخطواته ، ويدرك مدى الإضافة التى أضافها ، ويعرف أكثر من غيره عثرات الرسالة .

والتقديم فى صورته المثلى هو حوار مع المؤلف حول نتائجه ومنهجه ، ومن هنا قد يختلف معه ، وقد يضيف إليه ، وقد ينبه إلى أبعاد أخرى تحتاج فى المستقبل إلى شرح .

ولكن هذه الصورة المثلى لا تعرف فى عالمنا العربى ، وإذا عرفت فأنها تقابل بالجفاء والنفور .

فقد أصبح من الشائع بين أوساط الناس ، أن التقديم لا يكون إلا للمبتدئين الذين يحتاجون إلى عكاز كما قال لى أحدهم مرة ، ومن هنا انصرف عنه الكثيرون ورأوه انتقاصا لقدراتهم ، فهم بدافع من عقدة التعالى فوق التقديم ، وتدفعهم تلك العقدة إلى أبعد من ذلك ، فيضعون التقديم فى آخرالكتاب ، وتحت عنوان آخر وهو "دراسة حول الكتاب" ، وهو عنوان يرضى غرورهم ، وبأنه قد أصبح لهم دارسون يسيرون فى ركابهم .

ومن ناحية أخرى انحرف التقديم إلى المجاملة الشديدة . يسوق عبارات التقدير ، ويتحدث عن إضافات المؤلف ، ودوره فى مسيرة الفكر العربى والعالمى ، وغير ذلك من عبارات فاقعة ، وكأننا فى حملة انتخابات ، وبهذا فقد التقديم دوره القيادى ، وأصبح مثل قطران السفن يغرق بغرقها ، على حد تعبير الدكتور حسين فوزى .

وإذا ابتعد الناقد ولو قليلا عن المجاملة فى التقديم ، وناقش المؤلف فى مشروعه المطروح ، فمن السهل حينئذ أن يتخلص المؤلف بكل بجاحة من التقيم .

وقد جربت ذلك مرارا فى حياتى العملية ، يطلب منى أحدهم "تقديما" ، فأجهد نفسى ، وأحشد طاقتى ، وأكتب التقديم فى صورته المثلى التى ينبغى أن يكون عليها ، وقد أتحفظ مع المؤلف وأخالفه الرأى ، ولكن الكتاب يصدر دون هذا التقديم ، ودون ابداء حتى كلمة اعتذار خفيفة .

ومن هنا أصبحت لا أتحمس كثيرا لطلب بعض الأصدقاء ، لاننى أجد نفسى فى النهاية بين واحد من اثنين كلاهما بغيض .

الأول : أن انحرف إلى المجاملة الشديدة التى تسىء إلى التقاليد العلمية ، وتشبه دردشة المقاهى وثرثرة الحياة اليومية .

الثانى : أن يصدر الكتاب دون التقديم ، ويضيع الجهد المبذول ، وقد لا يكتفى المؤلف بالتخلص من التقديم كلية ، فيتحول فى غمضة عين من صديق إلى عدو .

* * *

ونعود إلى الحديث من جديد عن "المقدمة" فى الرسالة الجامعية ، مقترحين أن تشمل النقاط الآتية : -

* استعراض الدراسات السابقة التى تمت إلى الموضوع بصلة .
* تحديد عنوان الرسالة ، وتحديد موقعها بين الدراسات السابقة .
* الوقوف عند المعالم الرئيسية للرسالة .
* أسباب اختيار موضوع الرسالة .
* الصعوبات التى لاقت الباحث ، وطريقته فى التغلب عليها .
* المنهج الذى اختاره الباحث ، وأسباب اختياره لهذا المنهج .
* الإشارة إلى أهم المصادر والمراجع التى اعتمد عليه الباحث .
* شكر الطالب لأصحاب الفضل .

تلك هى النقاط الرئيسية فى المقدمة ، وينبغى أن تكون واضحة فى ذهن الباحث منذ البداية ، وأن تظل قائمة فى ذهنه أثناء خطوات البحث ، وهذا يؤكد أهمية المقدمة ، فهى أول ما يطالع القارئ ، وهى آخر ما يكتبه الباحث بعد أن يختمر الموضوع فى ذهنه ، وهى فى الوقت نفسه مصاحبة للباحث أثناء خطواته ، فإذا ما وجد صعوبة أثناء البحث اختزنها ، وإذا ما توصل إلى منهج جديد اختزنه ، وإذا ما كان له تعليق على أحد المصادر اختزنه . ثم فى النهاية يعيد قراءة كل هذه الأشياء ، ويكتب مقدمة تحيط بكل النقاط السابقة ، والتى كل نقطة منها تحتاج إلى حديث مستقل .

الدراسات السابقة حول الموضوع

نتائج الرسالة يجب أن تكون جديدة .

تلك الجملة يعرفها كل طالب للدراسات العليا ، وخاصة إذا كان طالبا للدكتوراه ، يقولها له المشرف مرارا ، وترددها لجنة المناقشة على مسمعه كثيرا .

وفرق بين أن يكون الموضوع كله جديدا ، وأن تكون نتائجه فقط هى الجديدة .

الموضوع الجديد لم يعالجه أحد من قبل .

وهنا ننصح الطالب بأن يتروى فى اختيار موضوعه ، وأن يراجع قوائم الرسائل المسجلة فى مختلف الكليات والجامعات ، وذلك حتى يأتى موضوعه جديدا ، لم يسبقه إليه أحد .

إن الموضوع الجديد يجعل كل ما يقوله الباحث جديدا ، ويجعل نتائجه كلها جديدة . وهو فى الوقت نفسه يصبح رائدا فى هذا المجال ، تذكره الدراسات اللاحقة .

وهنا أيضا نحذر الطالب من بعض الموضوعات التى أصبحت شائعة وتداولها كثير من الدارسين ، وتحولت إلى مسلمات ترددها الكتب الأدبية ، إن الاقدام على مثل هذه الموضوعات ، تعنى الباحث كثيرا ، فهو مطالب بأن يقرأ كل ما كتب ، وهو مطالب أيضا بأن يضيف شيئا إلى ما قيل ، وقد لا يستطيع أن يضيف شيئا فيبدو فى مظهر العاجز ، وما هو فى واقع الأمر بعاجز ، فقط هو قد وضع نفسه فى طريق مطروق ومسدود ، إن شخصيات مثل امرئ القيس والمتنبى وشوقى وطه حسين ونجيب محفوظ ، قد قيل حولها الكثير ، ويصبح من الصعب إضافة شىء جديد ، وأن موضوعات مثل مقدمة القصيدة الجاهلية ، والنقائض ، وهاشميات الكميت ، وزهد أبى العتاهية ، ومجون أبى نواس ، والمقامات ، وبدايات القصة القصيرة ، قد أصبحت متداولة ، لا يستطيع الباحث أن يقتنص الجديد إلا بعد تعب شديد .

* * * *

وقد لا يكون الموضوع جديدا ، ولكن نتائجه جديدة ، تحقق إضافة إلى الموضوع ، ويتمثل ذلك فى حالات ثلاث هى : -

١ – يختار الباحث زاوية جديدة من الموضوع السابق ، ويحاول أن يجليها .

٢ – قد تكون هناك إشارات سابقة إلى الموضوع ، ولكنها إشارات هينة ، فيأتى الباحث ويحاول أن يستكمل الموضوع ، وأن يدرسه دراسة وافية .

٣ – قد يختار الباحث منهجا جديدا فى معالجة موضوع مطروق ، ويستطيع من خلال هذا المنهج أن يصل إلى نتائج جديدة .

وكل حالة من تلك الحالات الثلاث تحتاج إلى مثال ، وإلى قدر من التفصيل .

والحالة الأولى تتمثل فى رسالتى "القصة المصرية وصورة المجتمع الحديث" ، فمما لا شك فيه أن الفن القصصى قد ناله اهتمام كبير من الدارسين الجامعيين ، ويمكن أن يتمثل ذلك فى الدراسات الآتية : –

– الفن القصصى فى الأدب المصرى الحديث للدكتور/ محمود حامد شوكت ، رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة سنة ١٩٥٢م .
– تطور الرواية العربية الحديثة للدكتور/ عبد المحسن طه بدر ، رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة سنة ١٩٦٢م .
– القصة القصيرة فى مصر للدكتور/ شكرى عياد ، معهد الدراسات العربية سنة ١٩٦٧ .
– تطور فن القصة القصيرة فى مصر للدكتور/ سيد حامد النساج ، رسالة ماجستير بجامعة القاهرة سنة ١٩٦٥م .
– الريف فى القصة المصرية للدكتور/ محمد حسن عبد الله ، رسالة ماجستير بجامعة القاهرة .

تلك هى معظم الدراسات الجامعية التى تمت قبل سنة ١٩٦٩ ، وهو موعد مناقشة رسالة "القصة المصرية وصورة المجتمع" ، وواضح أنها تميل ، فيما عدا الرسالة الأخيرة للدكتور/ محمد حسن عبد الله ، إلى تتبع الخط التطورى لمسيرة الفن القصصى فى مصر ، من خلال مراحل تاريخية ، يتصارع فيها هذا الشكل مع التراث العربى والوافد الغربى ، حتى يتأصل أخيرا فى التربة المصرية .

إن هـذه الدراسـات لا تدرس إلا عـرضـا العـلاقـة بين حـركـة المجـتـمـع وحـركـة الفن القصصى ، بمعنى أنها لا تتخذ هـذه العلاقةنقطة انطلاق ، وهنا تأتى أهمية رسـالة "القصة المصرية وصورة المجتمع" فتتخذ من هذه العلاقة نقطة انطلاق ، ومن هنا أمكنها أن تكتشف زاوية جديدة لم تنطلق منها الدراسات السابقة ، وأمكن لها أن تصل إلى نتائج جديدة .

حقا أن رسالة الدكتور/ محمد حسن عبد الله تميل إلى الاهتمام بالعلاقة بين البيئة والفن من خلال موضوعها المطروح وهو صورة الريف فى القصة المصرية ، ولكن هذه الرسالة غلبت عليها الناحية الاجتماعية على حساب الناحية الفنية ، فبدت أقرب إلى علم اجتماع الأدب منها إلى الأدب الواقعى .

وهناك فرق بكل تأكيد بين علم اجتماع الأدب ، وبين الأدب الذى يصور المجتمع ، ودون إدراك هذا الفرق يقع المحظور .

إن علم اجتماع الأدب يركز بالدرجة الأولى على الظاهرة الاجتماعية ، ويصورها من خلال النماذج الأدبية ، فالأدب هنا ليس مقصودا لذاته وبقدر ما يحمله من فنية وخصوصية ، ولكنه مقصود لدلالته على الظاهرة ، ومن هذا المنطلق فإن نصا أدبيا قد يكون مباشراً أو زاعقاً أولا يرضى عنه النقاد ، ولكن الباحث فى علم الإجتماع يحتفى به ربما بسبب دلالته المباشرة على الظاهرة .

أما الأدب الواقعى فهو يركز بالدرجة الأولى على النماذج الأدبية ، ويكتشف ما فيها من جدلية حية بين البيئة والمكان ، والنماذج هنا لا تكون محلا للدراسة إلا اذا توافرت لها الفنية والخصوصية ، وقد يكون النموذج هامسا وغير مباشر ولكن يحمل امكانات فنية لا تتوافر لغيره .

قد ينطلق الاثنان من المجتمع ، ولكن لكل علم شرائطه الفنية ، والخلط بينهما يسىء إلى كل منها ، فلا يخلص عالم الاجتماع لمهمته ، ولا يخلص دارس الأدب لوظيفته .

* * * *

أما الحالة الثانية فإنها تتمثل فى رسالة الماجستير "قصص العشاق النثرية فى العصر الأموى" ، التى نوقشت بجامعة القاهرة سنة ١٩٦٥م .

إن التراث القصصى عند العرب لم ينل حظه من الاهتمام ، فحين اتجهت القصة العربية فى العصر الحديث نحو أوروبا ، صاحب ذلك تجاهل شديد للتراث العربى ، وأخذ كثير من المفكرين يرددون مقولة بعض المستشرقين ، بأن العرب قديما لم يعرفوا الفن القصصى ، واكتفوا بالشعر الغنائى يصبون فيه ابداعاتهم .

وكان الهدف المتستر وراء هذه المقولة هو اتهام العرب بضمور الخيال ، فهم لا يستطيعون ابتكار أحداث وشخصيات ومواقف وغير ذلك من مظاهر الخيال الابتكارى الذى يقوم عليه الفن القصصى . إن خيال العرب كما يزعمون خيال قاصر ، يقوم على التشبيه والاستعارة والكناية ، وغير ذلك من مظاهر الخيال البيانى ، الذى يتميز به الشعر الغنائى ، والذى لا يستطيع أن يخلق أشياء من العدم ، فقط يعتمد على ملاحظة وجه الشبه بين شيئين ، أو علاقة ما بين طرفين .

ومن هنا لا نتوقع بطبيعة الحال أن تكون هناك دراسات سابقة قبل سنة ١٩٦٥ ، موعد مناقشة الرسالة ، للفن القصصى عند العرب بوجه عام ، ولقصص العشاق النثرية بوجه خاص .

إن كل ما ورد قبل هذا العام من دراسات لقصص الحب العربى ، كان مجرد إشارات فى بطون الكتب ، أو تحليلات لبعض النماذج ، وكانت عموما على النحو الآتى : –

– المستشرق الألمانى كارل بروكلمان ، تحدث عن قصص الحب فى العصر الأموى ، فى كتابه "تاريخ الأدب العربى" (١٩٩/١ – ٢٠٢) ، وأشار إلى قصص مجنون ليلى ، وقيس ولبنى ، وعروة بن حزام ، وأخيراً وضاح اليمن .

– الدكتور/ عبد العزيز عبد المجيد فى كتابه The Modern Arab Short Story تحدث فى التمهيد عن قصص العرب ، وأشار بطريقة مقتضبة إلى ما سماه قصص الحب Love Story ، ورأى أنها قد انتشرت بين طبقات الشعب العربى ، ووجدوا فيها تعبيرا عن طموحاتهم (P.45) .

– والدكتور موسى خليل سليمان أورد فى كتابه "يحكى عن العرب" نماذج للقصص العربى ، وذكر ما سماه الحكايات الحبية (ص ٧٢) ، وعرض لقصة مجنون ليلى ، وقيس لبنى ، وعروة بن حزام ، وغير ذلك ، وكان يعقب على كل حكاية بالدرس والتحليل وإلقاء بعض الأسئلة ، وبطريقة مدرسية ، ترشح هذا الكتاب للمدارس الثانوية .

– والاستاذ محمد مفيد الشوباشى ، خصص جزءا من كتابه "القصة العربية القديمة" لدراسة قصص الحب العذرى (ص ٧١) ، وعرض فيما عرض قصة جميل بثينة ، وقيس لبنى .

– أما الدكتور/ طه حسين ، فقد رأى فى كتابه "حديث الأربعاء" (١/٢٢٧ – ٥٣٩) أنه قد اكتشف فنا أدبيا ظهر بعد الاسلام ، وهو فن القصصى الغرامى ، ثم بحث عن أسباب نشأة هذا الفن ، وتعرض لطائفة من هذه القصص ، وأظهر ما فى بعضها من تكلف وسخف ، وما فى البعض الآخر من جودة واتقان .

تلك هى أهم الإشارات السابقة ، وتأتى رسالة "قصص العشاق" فتلتقط هذه الإشارات ، وتحولها إلى رسالة كاملة ، تتحدث عن مصادر هذه القصص ، وعن سماتها الفنية ، وعن تطورها التاريخى ، إن الموضوع كان مجرد إشارات ثم أصبح شيئا مفصلا ، له كيانه الواضح ، ونتائجه المميزة .

* * * *

٣ – وقد لا يكون الموضوع جديدا ، ولكن الباحث يختار له منهجا جديدا ، ونضرب مثالا على ذلك برسالة الطالب/عبد المنعم عبد الحليم ، تحت عنوان "الرؤية اللغوية الاجتماعية فى مؤلفات الجاحظ" .

فمما لا شك فيه أن الجاحظ لقى اهتماما كبيرا من النقاد والدارسين ، سواء فى القديم أو فى الحديث ، وسواء فى مصر أو فى غيرها . ولكن الباحث هنا اختار منهجا جديدا ، يقوم بالدرجة الأولى على تحديد مصطلحات الجاحظ تحديدا علميا ، فعل ذلك أمام كل فصل ، وأحيانا أمام مباحث كل فصل ،حتى تجمع له عدد كبير من المصطلحات ، وصل إلى ثلثمائة وسبعة وستين مصطلحا ، ثم ذكرها فى نهاية رسالته تحت عنوان "الكشاف المعجمى" .

وبهذا المنهج العلمى المحدد ، استطاع أن يحدد المفردات ، وأن يضفى على دراسة الجاحظ قدرا كبيرا من التحديد والانضباط .

* * * *

إن استعراض الدراسات السابقة يجب أن يخضع لخطة محكمة ، فلا يكفى للباحث كما يفعل الكثيرون ، إن يقوم بتلخيص الأعمال السابقة ، أو ذكر فهارسها ، ولكن لابد من أن يخضعها لخطة ، تقوم على ذكر العمل الأول ، ثم الذى يليه ،مكتشفا السمة الجوهرية للعمل

الأول ، والثغرات إن كانت ، ثم يقوم العمل الثانى أو الثالث أو الرابع ، فيما إذا كان قد أضاف إلى السابق زاوية جديدة ، أو منهجا جديدا ، أو فصل بعض الجوانب السريعة ، أو إنه مجرد تكرار دون إضافة للعمل السابق ، ويستمر فى تلك الخطوة التى تخضع لمنهج تاريخى تطورى ، حتى يصل إلى رسالته ، فيكشف عن موقفها إزاء الأعمال السابقة .

فاستعراض الرسائل السابقة إذن يخضع لخطة موجهة من الباحث من ناحية ، ويهدف إلى إبراز موقع رسالته من الناحية الاخرى .

* * * *

ولا بد فى نهاية الأمر من التأكيد على عنصر الدراسات السابقة ، لأنه عنصر يعكس أمانة الباحث واحترامه للتقاليد الجامعية من ناحية ، وهو من الناحية الثانية يجعل مسيرة الدراسات الجامعية متصلة الحلقات دون إهمال أو تقليل من جهود الآخرين .

لا بد إذن من التأكيد على هذا العنصر ، فقد تصاعدت فى الفترة الأخيرة ، ظاهرة التجاهل لجهود الآخرين ، ويمكن رصد هذه الظاهرة خلال مظهرين :

الأول : بعض الرسائل تتجاهل تماما الدراسات السابقة ، ونحن ازاء فرضين ، إما أن الباحث لا يتابع الدراسات فى ميدان بحثه ، فتلك مصيبة ، وإما أنه يتجاهلها فالمصيبة أعظم .

إن الكثيرين يدخلون تحت فرض "المصيبة أعظم" فالقارىء يكتشف أن الطالب قد رجع إلى الأعمال السابقة ، يشير إليها فى هوامش الرسالة ، ويذكرها فى ثبت المراجع والمصادر ، ولكنه مع ذلك لا يتحدث فى مقدمة رسالته عن هذه الأعمال ، ولا يشير إلى إضافتها ، ولا يكشف عن موقع رسالته بعدها .

إن التجاهل هنا متعمد ، والمصيبة أعظم ، والطالب يخفى ذلك ، لكى يضخم من قدر رسالته ، ويعطى انطباعا بأن أحدا من الدارسين لم يسبقه فى هذا الميدان .

الثانى : أن الطالب يعمد إلى التهوين من أعمال سابقيه . يضخم هفواتهم ، ويتغاضى عن إضافاتهم ، بغرض إبراز عمله ، وأنه يعد شيئا مميزا بين الدراسات السابقة ، وكثيرا ما يكرر عبارات مثل : ولم يهتم السابقون بهذه النقطة ، ولم يسبقنى أحد إلى هذا الجانب ، أو أن السابقين لم يستخدموا هذا المنهج ، أوأنهم عالجوا الموضوع بخفة وسرعة .

إن هذين المظهرين يعكسان معا سمة جوهرية فى الشخصية العربية فى العصر الحديث ، وهى التهوين من شأن الآخرين ، وتضخيم حجم الذات ، فكأن كل شىء يبدأ من الشخص صاحب الأمر ، ثم ينتهى عنده .

وإذا كانت تلك السمة متفشية ، للأسف ، فى حياتنا السياسية والاجتماعية ، فلا ينبغى أن تلقى بظلالها على الحياة الفكرية والجامعية ، ويجب على الطالب أن يكون متنبها لخطورة هذه الفكرة ، فلا يسمح لها بأن تجد متنفساً فى عمله الجامعى ، الذى يقوم على التواضع وإنكار الذات ونسبة الفضل لذويه .

تحديد عنوان الرسالة

من الضرورى أن يحدد الباحث المراد من عنوان رسالته ، حتى يكون هناك قدر متفق عليه مسبقا ، ويمكن الحوار من خلاله مع لجنة المناقشة ، ويمكن أن يدافع عن نفسه فى بعض الاحيان ، إذا خرجت اللجنة فى مساءلتها عن هذا القدر المتفق عليه مسبقا .

وتحديد عنوان الرسالة يجب أن يراعى بنوع خاص أمورا ثلاثة هى : -

١ - تحديد المفردات .

٢ - تحديد الفترة الزمنية .

٣ - تحديد الرقعة المكانية .

تحديد المفردات

وهنا ينبغى على الباحث أن يتنبه إلى أمور أربعة ، تحتاج بنوع خاص إلى تحديد وتعريف ، وهى : -

١ - تحديد مفردات عنوان الرسالة .
٢ - تحديد العناوين الداخلية ، والمتمثلة بنوع خاص فى الأبواب والفصول .
٣ - تحديد مصطلحات الرسالة . فقد يكون للباحث مصطلحات خاصة ، أو مفاهيم معينة لبعض المصطلحات الشائعة ، وحينئذ ينبغى له مسبقا أن ينص على ذلك فى المقدمة .
٤ - تحديد مصطلحات الموضوع أو الشخصية التى يتعرض لها بالبحث .

* * * *

وكل أمر من الأمور الأربعة السابقة تحتاج إلى وقفة قصيرة : -

الأمر الأول : من المهم أن يحدد الباحث المراد من عنوان رسالته ، ونضرب مثلا على ذلك برسالة "القصة المصرية وصورة المجتمع الحديث" ، فقد ذكر الباحث ، أنه يعنى بكلمة "القصة" الفن القصصى بوجه عام ، والذى يشمل الحديث عن الرواية جنبا مع الحديث عن القصة القصيرة .

وقد يبدو من الوهلة الأولى أن الباحث هنا غير محدد ، يخلط بين جنسين من الأدب لكل منهما مفهومه وأسسه النقدية ، ولكن الباحث يدرك كل ذلك ، ويدرك أنه يتحدث عن فترة رواد القصة المصرية ، وهى فترة اختلطت فيها المصطلحات لاختلاط المفهومين ، ومن هنا وجد الباحث نفسه مضطرا لأن ينص على كل ذلك ، وأن يقول فى المقدمة : -

"ولم أرض أن أحصر بحثى فى القصة القصرة أو فى الرواية وتركته عاماً ، فإن هذا التحديد الفنى لم يكن مفهوما فى ذلك الوقت - فترة الريادة - فقد كانوا يخلطون فى المصطلحات ويطلقون على القصة القصيرة رواية ، وعلى الرواية قصة قصيرة ، ويجمعون بينهما فى كتاب واحد ، وكانوا يخلطون فى ماهية العمل نفسه فلم يكن لهم تصور تام للقصة القصيرة يقف بها عند حد يبعدها عن الرواية ، وكانوا يفهمون الفرق ذلك الفهم الساذج ، الذى يعتمد على الحجم والكمية ، فالقصة قصيرة لأن عدد صفحاتها قليلة ، والقصة طويلة لأن أحداثها

ممطوطة ، وتفريعاتها كثيرة ، ولهذا لا نجد اختلافا فى الموضوع بين القصة ذات الوريقات القليلة والقصة ذات الحجم الكبير ، فالموضوع الذى يتناول مشكلات المجتمع اليومية بطريقة الحريص على بسط هذه المشكلات أكثر من الحريص على طبيعة الشكل الفنى – هذا هو الموضوع الأثير فى القصة القصيرة كما هو أثير فى الرواية" .

وبعد أن أشار الباحث إلى أنه يعنى بكلمة القصة المعنى العام الذى يشمل الرواية والقصة القصيرة اقترب قليلا من ماهية المراد بالقصة فى بحثه ، وذكر أنه يعنى القصة الفنية الموضوعة التى عرفها الأدب العربى فى العصر الحديث ، والتى تبدأ برواية "زينب" سنة ١٩١٢م ، ومجموعة "فى القطار" سنة ١٩١٧م .

وانطلاقا من هذا التحديد وهذا المفهوم ، أخذ الباحث يخرج من البحث ما ليس منه .

فهو أولا لا يبحث فى القصص المترجمة أو القصص الممصرة أو المعربة ، أو غير ذلك من قصص وجدت فيما سماه مرحلة الفجر الكاذب ، فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، لأنها مهدت للقصة الموضوعة ، ولم يتحقق لها القدر الكافى من الفن .

وهو ثانيا : لا يبحث فيما يسمى بالمقامات الجديدة ، مثل حديث عيسى بن هشام ، لأن القصة الفنيةالحديثة قطعت صلتها بهذا التراث ، واتجهت نحو الغرب تستوحيه الشكل الجديد .

وهو ثالثا لا يبحث فى القصة التاريخية ، لأنه يعنى بكلمة "قصة" فى مفهومه القصة الموضوعة والمؤلفة والتى يستوحى صاحبها الواقع المعاصر .

تلك صورة من تحديد مفردات العنوان ، يحدد الباحث المراد من الكلمة ، ثم يخرج ما ليس منها ، وبهذا يندرج تعريفه تحت ما يسميه المناطقة بالتعريف الجامع المانع .

* * * *

الأمر الثانى : ومن المهم أيضا أن يحدد الباحث عناوين الأبواب والفصول والعناوين الداخلية والجانبية للرسالة ، لأن تحديد كل هذا يدل على أن الفكرة واضحة فى ذهن المؤلف ، محددة الكيان ، غير متداخلة مع أفكار أخرى .

وكثير من الباحثين يقعون فى مزلق عدم تحديد العناوين ، وخاصة فى الدراسات الأدبية

لأن بيانية اللغة ، والخلط بين الإبداع والبحث ، ومحاولة الاستعراض الأسلوبى ، وإظهار القدرات اللغوية والخطابية ، كل هذا وغيره قد يوقع الباحث فى مزالق تبعده عن الاسلوب العلمى ، الذى يميل إلى التحديد والدقة ، ويبتعد عن الترادف والتكرار .

وقد بلغ هذا المزلق حد الظاهرة العامة ، التى تغلب علي الكثير من الرسائل فى عالمنا العربى ، إن الكثير من الرسائل التى سنعرضها فى القسم الثانى من هذا الكتاب تقع فى شراك هذا المزلق ، وإذا كنا هنا سنكتفى بذكر بعض الأمثلة ، فإن هذا لا يعنى أن هذه الأمثلة هى أقل من سواها بل ربما كانت أفضل من سواها ، وأنها أهل للنقد ومحاولة التقويم .

إن تلك الأمثلة المنتقاة تشير إلى الأخطاء الشائعة التى يقع فيها كثير من الباحثين ، عندما يضعون عناوينهم ، والتى يمكن أن نلخصها فى صورة مجملة كالآتى : -

١ - تداخل العناوين ، وذلك حين تصبح العناوين متشابهة ، ويمكن نقل العنوان مكان الآخر دون إحساس بالتغيير ، وسنضرب على ذلك مثالين من واقع الرسائل المعروضة فى القسم الثانى . إحداهما رسالة الدكتور/ صفوت عن حازم القرطاجنى ، فإن العناوين تتداخل فيها ، فالأسس والمكونات "عنوان القسم الأول" لا يختلف عن "الأصول العامة" عنوان القسم الثانى ، ولو أننا حذفنا من باب الفرض ، عناوين الأقسام ، وجعلنا عناوين الفصول تتوالى بعضها وراء بعض دون فاصل ، لما أحسسنا بالتغيير بل ربما نحس بالتكرار ، فالحديث مثلا عن "الإبداع الشعرى" فى القسم الأول ، يمكن أن يندرج فى الحديث عن "العبارة الشعرية" فى القسم الثانى .

أما الأخرى فهى رسالة الباحث/ يوسف أحمد الصواف عن "الفخر فى الشعر الجاهلى" ، فإن عنوان الفصل الأول "شعر الفخر والعلاقة بين الأنا والنحن" ، يتداخل مع عنوان الفصل الثانى" الفخر بين الذات والأنا القبلية" ، ومن هنا جاءت المعانى فيهما متكررة ، فالحديث عن عنترة ، أو عن المهلهل ، أو عن الشعراء الفرسان ، أو عن الشعراء الصعاليك ، يتكرر هنا وهناك دون إضافة ، ولو أن هذين الفصلين قد أدمجا فى فصل واحد ، وتحت عنوان واحد ، لما أحس القارئ بالتغيير .

٢ - التعسف فى المصطلحات الحديثة ، وهنا يحاول الباحث أن يبدو بمظهر الشخص العصرى ، الذى يحيط بالمصطلحات ذات الرنين البراق ، وقد يكون الباحث متعاطفا مع

الشخصية التى يدرسها ، فيحاول أن يضعها فى صورة الحديث ، وأنها لا تقل عن كبار المفكرين المعاصرين ، ويخلع عليها الكثير من المصطلحات التى لم تكن معروفة فى عصرها .

إن الباحث يجب أن يقاوم تلك الميول الأولية ، وأن يتحكم فى مشاعره ، فلا يجعلها تنحرف مع مظهر العصرية ، ولا يجعلها تميل نحو تلك الشخصية التى يدرسها .

والباحث حين يختار شخصية ما لتكون موضوع بحثه ، فإنما يختارها لكى يتحدث عنها ، وليس لكى يدافع عنها .

وفرق كبير بين الحديث عن الشخصية ، وبين الدفاع عنها .

فى الحالة الأولى تتحول الشخصية إلى موضوع بحث ، وهى تحت المشرط عرضة للكشف عن محاسنها ، وعن مساوئها ، على حد سواء .

أما فى الحالة الثانية فإن الشخصية تتحول إلى مثال أمام الباحث ، يحاول أن يبرزه ، وأن يكشف عن محاسنه ، وأن يبرر مساوئه إن التفت إليها .

وأقول "إن التفت إليها" لأن الباحث إذا انطلق من فكرة الدفاع عن الشخصية ، فإن مساوئها حينئذ سوف تراوغه ، ولن يستطيع الإمساك بها .

إن العناوين الفرعية التى وضعها الدكتور/ صفوت عقب أبواب وفصول رسالته عن حازم القرطاجنى (انظر فهرست الرسالة) ، تحاول أن تضع حازم القرطاجنى فى صورة معاصرة ، لا يقل فيها عن كبار الفلاسفة المنظرين .

إن عظمة الشخصية هى أن تضيف إلى عصرها ، وليس المطلوب منها أن تتحدث بلغة أجيال تالية فإن هذا قسر للتاريخ ، وهو فى الوقت نفسه ظلم للشخصية ، لأنها تتحدى إرادة التاريخ ، وحينئذ قد تسقط فى الاختبار ، كما يسقط البطل التراجيدى نتيجة مطامحه غير المشروعة .

٣ – عدم التحديد الدقيق للمراد من عناوين الرسالة ، وهى طريقة تخل بالمنهج الأكاديمى ، الذى يهتم قبل كل شىء بتعريف الألفاظ والإتفاق على معانيها . إن الألفاظ العامة الكبيرة تؤدى إلى العمومية ، وتجعل الرسالة تفقد الخصوصية .

وسنضرب مثالا على ذلك برسالتين :

إحداهما تحت عنوان "شعر الحياة العامة فى العصر العباسى ، حتى آخر القرن الرابع الهجرى" للباحث اليمنى محمد أحمد النهارى .

أما الأخرى فهى تحت عنوان (المسرح والتغيير الاجتماعى فى مصر ، من ١٩٥٢ إلى ١٩٧٠م) للباحث الجزائرى بن دهيبة .

إن العنوان ، هنا أو هناك ، يوحى بأنه ثمة شيئا كبيرا ، يتناول الحياةالعامة فى الرسالة الأولى ، ويتناول التغيير الاجتماعى فى الرسالة الثانية.

إن المنهج العلمى يفرض على كل من الباحثين السابقين ، أن يحدد هذا الشىء الكبير فى صورة قضايا مخصوصة ، ينص عليها فى المقدمة حتى لا يتسع الموضوع ، فيذكر الباحث الأول ما يعنيه بكلمة "الحياة العامة" على هيئة قضايا محددة ، ويذكر الباحث الثانى ما يعنيه بكلمة "التغيير الاجتماعى" على هيئة قضايا محددة .

وكانت النتيجة أن كلا من الرسالتين قد فقدت الخصوصية ، وتحولت إلى ما يشبه "بقالة الألف صنف" ، يحشر فيها صاحبها كل ما يعن له دون ترتيب . إن نظرة إلى العناوين الداخلية لكل من الرسالتين تؤكد هذا الحكم .

إن بعض العناوين فى الرسالة الأولى تتوالى كالآتى : -

(الشعر والحياة السياسية - الشعر وحياة القصر العباسى - النفوذ الاجنبى - الحياة العامة - أصوات معبرة - هوان الشعراء - التعبير عن الحياة العامة - طبقات مجتمع الحاضرة - حياة لاهية - الخمر والمجون - الجوارى والغناء - مناسبات - عادات - علاقات اجتماعية - الرفض الاجتماعى - الشعوبية - الزندقة - الزهد - الشطار والعيارون - الزنج - القرامطة) .

وإن بعض العناوين فى الرسالة الثانية تتوالى كالآتى : -

(الأوضاع الاجتماعية فى مصر قبل سنة ١٩٥٢ - المسرح والمجتمع فى مصر قبل سنة ١٩٥٢ - ثورة سنة ١٩٥٢ كأداة للتغيير - الالتزام والواقعية - الالتزام عند الوجوديين - الالتزام عند الاشتراكيين - الواقعية فى المسرح المصرى بعد سنة ١٩٥٢ - قضية صراع

الطبقات – قضية العمال والفلاحين – قضية صراع القيم – قضية المرأة – قضية الاستغلال والاحتكار– قضية التحرير الوطنى – قضية العدل والحرية والديمقراطية – قضية التحرر العربية – قضية السلام – البحث عن مسرح مصرى عربى – المسرحية الشعرية من الغنائية إلى الدرامية – لغة الحوار المسرحى) .

وواضح أن العناوين ، هنا أو هناك ، عامة وغير محددة ، مما أصاب كلا من الرسالتين بالترهل ، إن كل عنوان من تلك العناوين السابقة يحتاج وحده إلى رسالة مستقلة، ولو اقتصر كل من الباحثين على قضية من تلك القضايا ، لكان أقرب إلى المنهج الاكاديمى ، ولا كتسبت رسالته قدرا كبيرا من الخصوصية .

* * * *

أما الأمران الأخيران فإن هناك فرقا بين المصطلحات الخاصة بموضوع الرسالة وبين المصطلحات الخاصة بالباحث نفسه .

مصطلحات الموضوع هى اللغة الخاصة بموضوع الرسالة ، سواء كان الموضوع قضية أدبية ، أو شخصية أدبية . أما مصطلحات الباحث فهو ما يعنيه ببعض المفردات التى لها دلالات خاصة عنده ، وربما كانت الأمثلة ، ومن واقع الرسائل المعروضة فى القسم الثانى ، توضح بصورة أقوى هذا الفرق .

رسالة الدكتور/ حسن اسماعيل عن "ظاهرة الكدية فى الأدب العربى" تتناول قضية خاصة بأدب أهل الكدية ، وهم مجموعة من الطبقات الدنيا فى المجتمع ، اضطرتهم قسوة العيش إلى أن يستخدموا "رطانة" خاصة بهم يتسترون وراءها ، وقد رددوا هذه الرطانة ، أو المصطلحات فى أدبهم الذى تناثر فى الكتب القديمة ، ومن هنا كان على الباحث أن يجمع هذه المصطلحات ، ثم يعرف بها ، وأخيرا يفرد لها ملحقا خاصا فى نهاية رسالته تحت عنوان "معجم مصطلحات الكدية" .

وأيضا رسالة عبد المنعم عبد الحليم عن "الرؤية اللغوية والاجتماعية فى مؤلفات الجاحظ" حدد الباحث فيها أول كل فصل ، مصطلحات الجاحظ الخاصة به ، ثم جمع كل هذه المصطلحات فى نهاية رسالته تحت عنوان "الكشاف المعجمى" .

حسنا فعل كل من الدكتور/ حسن اسماعيل وعبد المنعم عبد الحليم ، فقد أدركا المنهج السليم ، وهو ضرورة تحديد مصطلحات الرسالة ، وبدون هذا التحديد فإن الباحث قد يضل فى الوصول إلى أحكامه بطريقة علمية .

نحن لازلنا حتى الآن ومن خلال الرسالتين السابقتين ، نتحدث عن المصطلحات الخاصة بموضوع الرسالة ، سواء كان الموضوع ظاهرة أدبية كما فى رسالة حسن اسماعيل ، أو كان شخصية أدبية كما فى رسالة عبد المنعم عبد الحليم .

أما المصطلح الخاص بالباحث نفسه ، فإننا نستطيع أن نمثل له برسالة "قصص العشاق النثرية فى العصر الأموى" "فكلمة قصة" التى يريدها الباحث هنا ، تختلف عن كلمة "قصة" فى النقد الأدبى الحديث ، ومن هنا كان لزاما على الباحث أن يعقد تمهيدا ، يحدد فيه ما يعنيه بكلمة قصة ، وأن يتتبع في هذا التمهيد كلمات مثل حكاية - خرافة - خبر - حديث . ثم يذكر مبرراته فى استخدام "القصة" كمصطلح خاص به .

وحسنا فعل الباحث ، فإن مثل هذا التحديد يحسم الكثير من الخلاف ، نتيجة سوء الفهم للمصطلحات الخاصة . وفى ظنى أن الخلاف الذى شاع بين الباحثين فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، حول قضية "معرفة العرب للفن القصصى" ، مرده إلى سوء فهم لمصطلح القصة . فلو أن كل باحث حدد مصطلحاته مسبقا ، لا لتقى الجميع على أرضية مشتركة ، وتحول الخلاف إلى خلاف شكلى .

إن المنكرين لمعرفة العرب للقصة ، إنما يعنون "القصة" كمصطلح عرفه النقد الحديث ، وهم على حق فى ذلك ، لأن القصص بمعناها الحديث لم تعرف فى العصور القديمة ، سواء عند العرب أو غيرهم ، فهى نتاج ظرف تاريخى خاص عرفته البشرية فى العصر الحديث .

وإن المؤيدين لمعرفة العرب للقص ، إنما يعنون مفهوما للقصة عرفه التراث العربى ، وهو مفهوم منتزع من البيئة العربية وظروفها التاريخية ، وهم على حق فى ذلك ، لأن كتب لتاريخ والأدب تحفل بنماذج كثيرة من تلك القصص .

وهكذا نجد أن الخلاف بين الفريقين شكلى وأن تحديد المصطلحات عند كل فريق ، يجعل الجميع يتفقون على أرضية مشتركة ، وهى أن العرب لم يعرفوا القصة بمفهومها الحديث ، ولكنهم عرفوها بمفهومها القديم .

وتلك هى النتيجة التى حاول التمهيد أول تلك الرسالة ، أن يبرزها ، من خلال تحديد المصطلح الخاص بالباحث .

الفترة الزمانية : -

ليس حتما أن تكون هناك صلة وثيقة بين الأحداث التاريخية والظواهر الأدبية ، فقد تكون الفترة الزمنية مزدهرة فى أحداثها السياسية والعسكرية ، ولكنها ليست كذلك فى ظواهرها الفكرية والفنية والأدبية . والعكس صحيح أيضا ، بمعنى أن الفترة الزمنية قد تكون راكدة فى أحداثها السياسية والعسكرية ، ولكنها تشهد فى الوقت نفسه حركة ازدهار فى مجال الفكر والأدب .

فقد كانت فترة ما قبل سنة ١٩٥٢ فترة تخبط فى الناحية السياسية والعسكرية ، استعمار ، وملكية ، وهزيمة عسكرية فى فلسطين ، وغيرذلك . ولكن هذه الفترة شهدت ازدهارا فى الناحية الفكرية والأدبية ، طه حسين ، العقاد ، نجيب محفوظ ، توفيق الحكيم ، المازنى ، شكرى ، المنفلوطى ، هيكل ، وغيرهم كثيرون ممن نسميهم الآن "عمالقة التنوير" .

وربما كان السبب فى ذلك أن الظاهرة الأدبية ، تملك تاريخها الخاص ، وهى تتطور ، وكأنها الكائن الحى ، داخل هذا التاريخ . حقا ، هى قد تتأثر فى حركة تطورها بالأحداث السياسية ، ولكنها تتطور ببطء ، قد توجد فى عصر ما ، ولكن نتائجها قد تتأخر لعصر تال .

ومن هنا كان تقسيم العصور الأدبية مضللا إلى حد ما ، لأنه قد ارتبط بالأحداث التاريخية إلى حد كبير ، ويجب على الباحث وهو يدرس الظاهرة الأدبية أن يكون على حذر شديد ، حتى لا يسقط الوضع السياسى على الوضع الأدبى ، فالعصر الجاهلى ، وكما يوحى اسمه ، هو عصر الحمق والسفه والوثنية ، وهذا حق من الناحية التاريخية ، ولكنه فى الوقت نفسه هو عصر الفصاحة والبلاغة والمعلقات من الناحية الأدبية ، ولو استجاب الباحث لعواطفه التاريخية والدينية ، لرفض الشعر الجاهلى جملة وتفصيلا .

وقد كان من الشائع فى بداية الدراسات الأدبية فى العصر الحديث ، أن يتحدث الباحث عن العصر الأدبى ، وأن يعرف بأعلامه ، وأغراضه الشعرية ، وأنواعه النثرية ، ثم يورد مجموعة من النصوص الأدبية تعطى صورة عن هذا العصر .

قد يكون هذا المنهج مبررا عند الرواد ، لأنهم يقدمون الصورة العامة ، ويمهدون الأرضية ، ولكنه لم يعد مبررا عند جيل ما بعد الرواد ، فهم قد اطلعوا على الصورة كاملة ، وأصبح من الواجب عليهم أن يتناولوا جزئية منها ويعمقوها .

ومن هنا فالظاهرة الأدبية عموما لها تاريخها المستقل ، وليس حتما أن يرتبط هذا التاريخ بالعصور التاريخية ، أو حتى بالتقسيم التقليدى للعصور الأدبية المعروفة ، الباحث مطالب بأن يتتبع نمو هذه الظاهرة وتطورها ، وقد يمتد التطور خلال عصور أدبية تالية ، وقد يكون له جذور خلال العصور السابقة ، ظاهرة الغزل العذرى مثلا ، ليست قاصرة على العصر الأموى ، وليست فقط نتيجة لدعوة الإسلام إلى الزهد والعفة ، فإن الباحث يمكن أن يلتمس جذورها فى العصر الجاهلى ، ويمكن أن يتابع تطورها وتحولها في العصور التالية .

إن الارتباط بين الأحداث التاريخية والظواهر الأدبية مضلل إلى حد كبير ، فالباحث ، وخاصة فى خطواته الأولى ، كثيرا ما يسقط الأحداث السياسية على الظواهر الفنية ، فمثلا كثير من الباحثين يجعلون من ١٩٥٢ بداية أو نهاية لرسائلهم . حقا أن هذه السنة قد شهدت تحولا تاريخيا جذريا ممثلا فى ثورة ١٩٥٢ ، ولكن هذه السنة لم تشهد تحولا فنيا مماثلا ، فقد ظلت البنية الفنية التى عرفتها فترة الأربعينيات ، مسيطرة على فترة الخمسينيات ، واستمرت هذه البنية متماسكة إلى حد كبير حتى ١٩٦٧ ، إذ ظهرت تغييرات جذرية أدت إلى تحولات فنية جذرية .

وقد وقع الدكتور سيد حامد النساج فى رسالته للماجستير ، عن تطور فن القصة القصيرة فى مصر فى هذا المزلق ، الذى يربط بين الأحداث السياسية ، والظواهر الأدبية ، فقد جعل الأحداث التاريخية هى التى تحرك فصول رسالته ، وجعل من ثورة ١٩١٩ حدثا جذريا فى مجال الفن القصصى ، وعقد فصلا عن فترة زمنية قبل ١٩١٩ ، تختلف عن فترة زمنية بين ١٩٢٠ و ١٩٢٥ ، وهى تختلف أيضا عن فترة زمنية أخرى ، تمتد من ١٩٢٥ وحتى ١٩٣٥ .

وكانت النتيجة أن الأحداث التاريخية ، قد ألقت بظلالها على أحكام الدكتور النساج ، فهو يضع كاتبا بجانب كاتب مع تباعد منهجيهما ، لأن الفترة الزمنية تجمع بينهما . ويفصل كاتبا عن كاتب مع تقارب منهجيهما ، لأن الفترة الزمنية تبعد بينهما . فيضع محمد تيمور مع المنفلوطى لأن قصصهما صدرت قبل ١٩١٩ . ويضع الأخوين عبيد وحسن محمود فى فصل ،

لأن نتاجهم صدر قبل ١٩٢٥ . ويضع أحمد خيرى سعيد ولاشين في الفصل المخصص للفترة الزمنية الممتدة بين ١٩٢٥ و ١٩٣٣ . مع أن محمد تيمور أقرب إلى محمود تيمور أو إلى أحمد خيرى سعيد منه إلى المنفلوطى . وحسن محمود أقرب إلى لاشين منه إلى الأخوين عبيد ، ولكنها التقسيمات التاريخية هى التي تفرض أحكامها ، وهى أحكام تخضع لاعتبارات خارجية أكثر منها فنية .

وقد سبق لى أن وقعت فى مزلق مشابه ، وذلك فى رسالتى للماجستير عن "قصص العشاق النثرية فى العصر الأموى" ، فقد خيل لى بادىء ذى بدء أن هذا النوع من القصص ينتمى إلى العصر الأموى ، ويتأثر بالتغييرات التى أحدثها الإسلام فى العقلية العربية ، وكنت فى ذلك واقعا تحت تأثير آراء الدكتور طه حسين فى حديث الأربعاء عن هذا النوع من القصص .

ولكن بعد أن قطعت خطوات فى الدراسة ، اكتشفت أن هذا النوع من القصص ، يشبه الظاهرة الأدبية ، التى تملك تاريخها الخاص ، والذى ليس من الضرورى أن يخضع للتقسيمات التقليدية للعصور الأدبية ، فهذه الظاهرة ترمى بجذور إلى العصر الجاهلى ، وتمتد إلى عصور تالية بعد العصر الأموى ، ومن هنا تخلصت من هذا الحرج بفصل عن "مصادر قصص العشق" تحدثت فيه عن جذور هذه القصص فى العصر الجاهلى ، ثم بفصل آخر عن "تطور قصص العشق" تحدثت فيه عن مستقبل هذه القصص فى عصور تالية للعصر الأموى .

فالظاهرة الأدبية تملك تاريخها ، وهى التى تملى على الباحث الفترة الزمنية ، إن تحديد الفترة الزمنية فى بدايتها وفى نهايتها ، ليس مجرد تحديد عشوائى يخضع لمزاج الباحث ، ولكنه بالدرجة الأولى يخضع لاعتبارات فنية تمليها الظاهرة ، ومن هنا تبدو أهمية الحوار بين الباحث والمشرف ، حتى يمكن الاتفاق مسبقا على فترة زمنية تخضع لاعتبارات فنية ، وليست لاعتبارات خارجية .

رسالة "القصة المصرية وصورة المجتمع الحديث" مثلا ، تحدد الفترة الزمنية منطلقا لدراستها ، ابتداء من أوائل القرن العشرين إلى قيام الحرب العالمية الثانية ، وهى الفترة التى شهدت جيل الرواد . وهم جيل لهم مطامحهم وفلسفتهم . ولهم تصورهم الخاص للفن القصصى ، وقد دافعوا عن هذا التصور ، حتى استطاعوا أن يؤصلوه داخل التربة المصرية ، فهم يمثلون

فترة زمنية محددة ، أنتجت نوعا من الأدب له سماته الخاصة ، ومن هنا فإن هذا التحديد الزمنى يخضع لاعتبارات فنية ، تساعد الباحث على اكتشاف الملامح الأدبية ، وتطور هذه الملامح .

وقد لا يوفق الباحث فى تحديد بداية الفترة الزمنية لرسالته . فمثلا رسالة الدكتور محمود حامد شوكت التى قدمها ١٩٥٢ إلى جامعة القاهرة ، تحت عنوان "الفن القصصى فى الأدب المصرى الحديث" قد جعلت من ١٨٠٠م بداية لفترة البحث . وأيضا رسالة الدكتور عبد المحسن طه بدر التى قدمها ١٩٦٢ إلى جامعة القاهرة ، تحت عنوان "تطور الرواية العربية الحديثة" جعلت من ١٨٧٠ بداية لفترة البحث . والبداية هنا وهناك لا تخضع لاعتبارات فنية ، فالفترة بين عامى ١٨٠٠ و ١٨٧٠ لم تشهد الميلاد الفنى للقصة فى مصر أو فى العالم العربى ، وكل ما شهدته بعض المؤلفات التاريخية أو الاجتماعية التى تتخذ من الأسلوب القصصى ثوبا خارجيا لتوصيل أفكارها .

ومن هنا نجد الرسالة الأولى تغطى فترة زمنية ممتدة ، تزيد عن قرن ونصف ، يحاول صاحبها أن يعطى صورة مجملة عن هذه الفترة ، وأن يعرف بقصص هذه الفترة وأعلامها وأجيالها ، فهو من هذه الزاوية يشبه جيل الرواد من مؤرخى الأدب ، الذين كانوا يتحدثون عن العصور الأدبية ، ويحاولون أن يقدموا للقارىء صورة مجملة عن هذه العصور .

ومن هنا نجد الرسالة الثانية تتحدث أيضا عن الرواية التعليمية ممثلة فى بعض مؤلفات على مبارك ، وعن رواية التسلية ممثلة فى بعض المترجمات والقصص الممصرة ، وتحشر داخلها كل شىء دون اعتبارات فنية .

وقد لا يوفق الباحث فى تحديد نهاية الفترة الزمنية للرسالة ، وهو خطأ شائع يقع فيه كثير من الباحثين ، الذين يدرسون ظاهرة معاصرة ، فغالبا ما يحددون نهاية بحثهم ، عند السنة التى تم فيها تسجيل الرسالة ، ولكن سنة التسجيل لا تمثل حدثا تاريخيا أو فنيا ، يمكن أن يقف عنده الباحث . فمثلا رسالة الماجستير للكتور مراد عبد الرحمن مبروك ، عن القصة القصيرة فى مصر ، تبدأ ١٩٦٧ ، وتنتهى ١٩٨٤ . وقد تكون البداية هنا مبررة لان ١٩٦٧ شهدت تحولات فنية تشبه الظاهرة ، وتعكس ملامح فنية جديدة تغرى الباحث بأن يرصدها ويسجلها ، ولكن النهاية وهى ١٩٨٤ ليست مبررة فنيا ، فقط هو موعد تسجيل الرسالة ، ولكنها لا تمثل نهاية لمرحلة فنية ، يمكن أن يقف عندها الباحث ، ويستطيع خلال البداية والنهاية أن يتابع تطور هذه الظاهرة .

الرقعـة المكانيـة : –

انتشرت الثقافة العربية القديمة مع انتشار الإسلام فى بيئات مختلفة ، وفرضت خصائص رئيسية ، أضعفت من تأثير الثقافات المحلية ، إن رموز الثقافة العربية هم رموز للثقافة الأم دون اعتبارات للمولد والنسب ، فالجاحظ والكندى وسيبويه وابن هشام وأبو العلاء وابن خلدون ، وغيرهم يعبرون عن روح الثقافة العربية الكبرى ، ولا تكاد تلمس بينهم تأثيرات محلية أو اقليمية .

ومن هنا ، فإن الرسائل الجامعية ، التى تتناول موضوعا من موضوعات الأدب العربى القديم ، لا تهتم بتحديد المكان ، ولا تركز على إبراز البيئة ، فهى تتناول ظاهرة أو شخصية دون أن تربط ذلك بالرقعة المكانية .

ونظرة سريعة على موضوعات الرسائل فى القسم الثانى ، والتى تتخذ من القديم نقطة انطلاق ، تؤكد هذه الملاحظة ، فهى لا تهتم بإبراز مردود البيئة ، ولا بتحديد المكان ، وانظر بنوع خاص رسائل مثل : شخصية هارون الرشيد فى الأدب العباسى – ظاهرة الكدية فى الأدب العربى الفصيح – آراء حازم القرطاجنى النقدية والجمالية – حكمة لقمان فى التراث العربى – سجع الكهان فى الأدب العربى – منهج الخطيب الشربينى فى تفسير القرآن – ابن الجوزى وتفسيره – الأمالى الأدبية .

حقا ، حاول الدكتور محمد عثمان فى رسالته "منهج الحوفى فى تفسير القرآن" ، أن يلتمس تأثيراً للبيئة المصرية على الحوفى ، ولكن المحاولة بدت متكلفة ، وتكرر نفسها فى بضعة معان .

وتغير الحال فى العصر الحديث ، ووقعت المنطقة العربية تحت نفوذ ألوان عديدة من الاستعمار الفرنسى ، الانجليزى ، الايطالى ، الامريكى ، الروسى ، وكل استعمار ينفرد بقطعة من المنطقة العربية ، ويحاول أن يفرض ثقافته وحضارته ، وكانت النتيجة لكل ذلك ، ضعف الثقافة العربية الأم ، وتحويل المنطقة العربية إلى جزر معزولة وبيئات ثقافية متعددة ، وبينها درجات من الحضارة مختلفة .

وانعكس هذا بطبيعة الحال على واقع الأدب العربى ، وظهرت بيئات مختلفة بعضها

يزدهر فيها الشعر ، والأخرى الفن المسرحى ، وبعضها يحرص على التقاليد الأدبية الكلاسيكية ، والثانية تبيح قدرا من التحرر ، والثالثة توغل إلى حد كبير فى التحرر .

ومن هنا ، فإن الرسائل الجامعية ، التى تتخذ من الأدب العربى الحديث ميدانا لها ، ينبغى أن تراعى هذا الواقع ، فلم يعد مقبولا أن تدور الرسائل الجامعية حول موضوعات عامة ، مثل : الفن المسرحى فى الأدب العربى الحديث ، أو القصة القصيرة فى الأدب العربى الحديث ، بل لا بد لها من تحديد المكان ، فى مصر ، أو فى الشام ، أو غير ذلك ، حتى يمكن أن تصل إلى نتائج محددة .

ونظرة سريعة إلى الرسائل المعروضة فى القسم الثانى ، والتى تتخذ من ظواهر الأدب الحديث ميدانا لها ، تؤكد هذه الحقيقة ، فهى تحرص على تحديد المكان ، وذلك مثل : الأدب العربى النيجيرى – العناصر التراثية فى الرواية المصرية – فن القصة القصيرة فى مصر – الروائيةالمصرية وصورة المرأة – المسرح والتغير الاجتماعى فى مصر – البطل فى الرواية العربية فى بلاد الشام – الاتجاه الرومانسى فى الشعر الفلسطينى – الترجمة الذاتية فى النثر المصرى الحديث .

وخلاصة كل ما سبق ، أن الرسائل الجامعيةالتى تتخذ من القديم نقطة انطلاق ، قد يغتفر لها تجاهل الرقعة المكانية ، ولكن هذا لن يغتفر بأى حال من الأحوال ، للرسائل الجامعية التى تنطلق من ظواهر الأدب الحديث ، لانها تتجاهل الواقع مهما كانت مرارته ، وتفتقد الخصوصية التى يحرص على إبرازها الباحث الجامعى .

* * * *

ترددت حتى الآن عبارات مثل : الرقعة المكانية ، والبيئة الثقافية ، مما يجعل من الضرورى أن تحدد المراد من مثل هذه العبارات

ولعله من الواضح أن التحديد الجغرافى للأوطان العربيةالمعاصرة ، غير وارد هنا ، خاصة أن هذا التحديد قد فرضته عوامل سياسية قهرية ، جدت بعد الحرب العالمية الثانية ، وجعلت الاستعمار يقسم المنطقة إلى أوطان طبقا لمصلحته الخاصة ، ودون مراعاة لتاريخ المنطقة وثقافتها الرئيسية .

إن المراد بالمكان فى ظنى هو "البيئة الثقافية" وهى عبارة عن مكان تضافرت عليه عوامل تاريخية وبيئية ، جعلته يخضع لثقافة واحدة ، تعبر عن نفسها فى ظواهر أدبية مشتركة.

والناظر إلى المنطقة العربية فى الوقت الراهن، يمكن أن يقسمها إلى بيئات ثقافية كالآتى .

١ – مصر .
٢– العراق .
٣ – الشام(لبنان – سوريا – الأردن – فلسطين) .
٤ – الجزيرة العربية وما حولها (السعودية – الخليج – اليمن) .
٥ – المغرب العربى (تونس – الجزائر – المغرب) .

هذا فضلا عن بيئات أخرى ، تتحدث عن الأدب العربي فى نيجيريا ، أو المهجر ، أو الصين ، أو غير ذلك .

هذا هو الواقع الذى لا مَفر منه ، بحجة المشاعر القومية والدينية ، لأن الفرار من الواقع لا يغير منه شيئا ، ولكن مجابهته ، والوعى به ، ومحاولة توجيهه ، هى الطريق الصحيح لتغير الوقائع ، وتشكيل ثقافة عربية أم ، تفرض روحها على الجميع ، ولكنها لا تجعل الجميع يخضعون لسيطرتها التامة ، فيتخلون عن الخصوصية ، فإن المحلية يمكن أن تتصالح مع القومية ، والذاتية مع الغيرية ، وأن يكون ذلك طريقا للتنوع والثراء ، أما المحلية وحدها ، أو القومية وحدها ، فهى نوع من النظرة الأحادية ، تحيل الكثيرين إلى نسخ متشابهة أو منغلقة .

فالمكان إذن هو مكان ثقافى ، وليس مكانا جغرافيا ، وكل بيئة ثقافية تنتج ظواهر أدبية مميزة ، يمكن أن تكون محلا لرسالة جامعية أو أكثر ، وحينئذ يجب على الباحث أن يتنبه للتأثيرات المحلية ، فقد تكون طريقة للكشف عن الخصوصية والإضافة .

ويمكن للباحث داخل البيئة الثقافية المعينة ، أن يدرس الظواهر الأدبية ممثلة فى روافد هذه البيئة ، ففى البيئة المصرية مثلا ، يمكن أن يدرس القصة القصيرة فى الصعيد ، أو فى الأسكندرية ، وفى البيئة الشامية يمكن أن يدرس الرواية فى فلسطين أو لبنان ، وفى بيئة الخليج

يمكن أن يدرس الشعر فى اليمن أو فى البحرين .

كل هذا ممكن ولكن بشرط أساسى ، وهو أن تكون المادة "الخام" وافية بغرض الدراسة ، فلا تكون قليلة أو نادرة ، لا تشجع الباحث على استنتاجاته ولا على تحليلاته .

نحن إذن لسنا ازاء قواعد فقهية ، تقول الحلال بين والحرام بين ، وتحذر من مناطق الحمى . ولكننا ازاء دراسات أدبية ، تخضع لحساسية القارئ ، وتقديره لموضوعه ، إن القواعد هنا لمجرد الاسترشاد ، وتقوية قرون الاستشعار عند الباحث ، وتدريبه على الالتقاط والملاحظة .

فقط أحذر الباحث هنا من مزلقين عامين :

الأول : ألا يكون المكان عنده فضفاضا ، يشمل بيئات ثقافية مختلفة ، كأن يكتب رسالة عن الشعر فى الوطن العربى المعاصر .

الثانى : ألا يكون المكان ضيقا ، محددا بجزء من بيئة ثقافية ، ولا يقدم مادة علمية تؤدى إلى رسالة جامعية ، فقد لا يستطيع الباحث مثلا أن يكتب رسالة عن المسرح فى اليمن أو فى البحرين .

المزلق الأول يجعل الرسالة تفتقد الخصوصية ، والمزلق الثانى يحيل الرسالة إلى مقالة أدبية ، أما ما وراء هذين المزلقين فيترك تقديره للباحث فى مجال الدراسات الأدبية .

المعالم الرئيسية للرسالة

وهذا العنوان بديل عن العنوان الشائع بين الباحثين وهو "أهم نقاط البحث" . وقد اخترت هذا البديل لأنه يحمل فى ثناياه الهدف المراد من تلخيص نقاط البحث .

فمن المعروف فى الدراسات التربوية أن التصور الكلى يسبق تصور الجزئيات ، وهو فى الوقت نفسه يساعد على إدراك الجزئيات ووضعها بطريقة صحيحة فى السياق العام . ومن هنا أهمية أن تشير المقدمة إلى المعالم الرئيسية للرسالة وبطريقة تؤدى إلى هذا الهدف . فليس المراد هو نثر بعض محتويات الرسالة ، أو تلخيص أهم نقاطها . ولكن المراد هو الوقوف عند المعالم الرئيسية للرسالة ، حتى يمكن أن تتكون عند القارئ صورة ذهنية مجملة للرسالة ، تساعده على إدراك تصورات البحث وإشاراته .

وربما كانت مقدمة الدكتور/ صفوت عبد الله الخطيب لرسالته عن حازم القرطاجنى ، تمثل التوظيف المطلوب من ذكر أهم معالم الرسالة ، هو لم يفض كثيرا فى تلخيص الرسالة ، ولا فى ذكر محتويات الأبواب والفصول ، لأنه يدرك أن هذا غير مطلوب فى حد ذاته ، وإنما المطلوب هو ذكر الخطوط العريضة ، التى تبرز الهدف الرئيس للرسالة .

إن هدفه الرئيسى هو الكشف عن نظرية متناسقة فى النقد الأدبى عند حازم القرطاجنى ، ومن هنا يعرض المعالم الرئيسية التى تساعد القارئ على تصور أبعاد هذه النظرية ، فهو يذكر فى المقدمة أن القسم الأول من الرسالة يمثل مبانى النظرية وأسسها ، وأن القسم الثانى يمثل أصول النظرية وموضوعاتها الرئيسية ، أما القسم الثالث والأخير فهو يمثل الغاية من تلك النظرية .

ومن هنا يتبين خطأ الذين ينقلون عن فهرست الرسالة حين يتحدثون عن أهم نقاطها . إنهم لا يدركون الغاية من الإشارة إلى أهم معالم الرسالة ، فيكتفون بنقل محتويات الفهرست ، دون أن توجه عملية النقل خطة ما .

إن الدكتور محمد أحمد النهارى فى مقدمة رسالته عن "الشعر والحياة العامة فى العصر العباسى" يكتفى بنقل محتويات الفهرست ، فيخرج القارئ بفكرة مشوشة عن صورة الرسالة مع أنه لو وقف عند الملامح الرئيسية ، وانتقل من ملمح إلى ملمح ، لاستطاع القارئ إن يكون صورة عامة عن الرسالة ، تساعده وهو يتنقل من باب إلى باب ، ومن فصل إلى فصل .

أسباب اختيار الموضوع

فرق بين اختيار الموضوع كمادة للرسالة ، وبين ذكر الأسباب التى تقف وراء هذا الاختيار ، اختيار الموضوع مرحلة سابقة ، يتم الحوار فيها مع المشرف وقبل تسجيل الرسالة . وكل ما ننصح به فى هذا المجال أن يأخذ الحوار حقه ووقته ، حتى يمكن الاتفاق على موضوع مناسب ، إن العجلة التى يبديها بعض الباحثين ، قد توقعهم فى محاذير كثيرة من أهمها : -

١ - قد يكون الموضوع صغيرا ، تكفى فيه المقالة أو الكتيب الصغير ، ولا يساعد الباحث على الإفاضة والتحليل .

إن موضوعا مثل موضوع "أثر التصور الإسلامى على الغزل العذرى" ، قد يكفى لمقالة أو لكتيب صغير ، وحين تصدى له أحد الباحثين فى رسالة للماجستير ، وجد نفسه يدخل فى استطرادات وهامشيات حول الموضوع وليست من صلبه ، وقد اعترض المشرف على تلك الطريقة ، وأخذ الباحث يرقع ويصلح فى الموضوع ، واستهلك وقتا طويلا ، كان يمكن أن يوفره لو ناقش الموضوع مع المشرف وصبر على ذلك ، حتى يكتشف أبعاده ومحاذيره .

٢ - وقد يكون الموضوع كبيرا وواسعا ، يجد الباحث نفسه يتوه فى مجالات كثيرة ، يحاول أن يغطيها ولكنه لا يستطيع ، فتفتقد رسالته الخصوصية ، والوقوع على قضايا محددة . إن رسالة "الأمالى الأدبية" رسالة واسعة ، تعنى التعرض للمكتبة العربية كلها ، لأن الأمالى تعنى المحاضرات العامة ، وهى محاضرات حول كل شىء مما حفلت به المكتبة العربية ، من نحو وصرف وعروض وأدب ولغة وعقيدة ونادرة وغير ذلك . فافتقدت الرسالة الخصوصية ، وكانت نتائجها غير محددة ولا مبلورة .

وشىء مثل هذا يمكن أن نقوله عن رسالة "الشعر والحياة العامة فى العصر العباسى" لأن كلمة "الحياة العامة" واسعة ، ولم يحددها الباحث فى قضايا معينة ، يمكن أن ينطلق منها ، وأن يصل إلى استنتاجات محددة .

٣ – وقد يحتاج الموضوع إلى فريق من الباحثين ، كل يتناوله من زاوية وذلك مثل الموسوعات والمعاجم ، والمصطلحات ، وغير ذلك .

وهذا المحذور الأخير ، كثيرا ما يقع فيه الباحث فى بداية حياته ، لأنه تخدعه العناوين الكبيرة ، هو لا يدرك فى تلك السن الصغيرة مخاطر هذا الطريق ، قد يأتينى أحدهم ويقترح موضوعا حول الحضارة الإسلامية ، أو مصطلحات الفقهاء دون تحديد ، أو مصطلحات الفلاسفة ، أو عمل معجم تاريخى ، وهولا يعرف أن مثل هذه الموضوعات تحتاج إلى مؤسسات وهيئات ، وأن الكثير من الوزارات والمجامع والمجالس فى عالمنا العربى ، لا تتصدى لمثل هذه الموضوعات الكبيرة .

* * * *

أما ذكر الأسباب فهو شىء يأتى فى المقدمة ، فبعد أن يفرغ الباحث من تسجيل موضوعه ، ثم من كتابته ، يلزمه حين يكتب المقدمة أن يشير إلى الأسباب التى جعلته يفضل هذا الموضوع دون غيره .

ويمكن للقارئ أن يستشف شخصية الباحث ، بعد أن يقرأ تلك الأسباب ، فقد يكتشف أنها أسباب واهية ، يختلقها الباحث من باب سد الخانة ، وأن الموضوع قد اختاره له المشرف أو غيره ، وقد يكتشف أن الأسباب مقنعه ومبررة ، وأن وراء هذا الموضوع شخصية باحث ، شغله هذا الموضوع ، وعايشه وفهمه خطوه خطوة .

نحن إذن ازاء أسباب واهية ... وأسباب مقنعه .

أما الأسباب الواهية ، فبعضها يتمثل فى الآتى : –

١ – بعض الدارسين لظواهر دينية ، وخاصة فى مجال التفسير ، يذكر أن الذى دفعه إلى اختيار موضوعه ، هو عاطفته الدينية ، وحبه لكلام الله ، ورغبته فى الدفاع عن عقيدته ضد المنحرفين والمتقولين .

يذكر مثل هذا الكلام الباحث جمال عبد العزيز فى مقدمه رسالته للماجستير "اتجاهات التفسير عند إسماعيل حقى فى روح البيان" ، ويرى أن الذى دفعه إلى هذا الموضوع هو حبه لكلام الله" فيكفى الباحث شرفا تعامله مع كلام الله تعالى" على حد قوله فى المقدمة .

ولا شك أنه شعور دينى طيب ، ولكن المنهج العلمى يختلف عن ذلك ، ومثل هذه العبارات التى ذكرها الباحث ، تدل فى طياتها على أنه سيتجه اتجاها غير موضوعى .

ولا يعنى هذا أننى أقلل من العاطفة الدينية ، ولكن يعنى أن لكل شىء مجاله ، وأن الدراسات الجامعية سبيلها التحكم فى العاطفة ، وعدم الإفصاح عن الشعور ، وقد يصل الباحث خلال هذا المنهج الاكاديمى إلى الدفاع عن الإسلام والعقيدة ، ولكن بطريقة موضوعية ومبررة وتصل إلى عقول الباحثين فى مجال الدراسات الجامعية .

٢ – وبعض الباحثين يذكر أن الذى دفعه إلى موضوعه ، هو حبه للشخصية التى يكتب عنها البحث وغالبا ما يكون ذلك مع الشخصيات التاريخية ، ذات الدور القيادى فى المجال السياسى أو العسكرى أو الثقافى ، فقد يقترح أحدهم موضوعا حول سيدنا عمر بن الخطاب ، أو الإمام على ، أو خامس الخلفاء عمر بن عبد العزيز ، أو الطبرى ، أو ابن خلدون ، أو خالد بن الوليد . إن حب الباحث لمثل هذه الشخصيات يؤثر على منهجه العلمى ، ويظل هذا الحب يصاحبه أثناء البحث ، فهو يتصدى للدفاع عن الشخصية ، ويبحث عن المبررات لسلوكها ، ولا يستطيع أن يخفى عواطفه مهما حاول .

٣ – وبعض الباحثين يختار موضوعه بسبب عواطف قومية ، ويحدث هذا كثيرا مع الفلسطينين الذين يتناولون ظاهرة الأدب الفلسطينى ، فلا يستطيعون أن يخفوا مشاعرهم ، وتتحول الدراسة عندهم إلى إشادة بأدب المقاومة ، وهجوم مباشر على الغاصبين ، وتعاطف شديد مع قضية اللاجئين .

لست ألوم الباحث على عواطفه القومية ، ولكن مجالها القصيدة أو الأنشودة أو المقالة أو الخطبة ، أما البحث الجامعى فهو يحتاج إلى عقلية حيادية ، تتجرد من المشاعر وتحاول أن تصل إلى نتيجة موضوعية ومبررة .

والخلاصة أن مثل تلك الأسباب التى تدور حول مشاعر دينية ، أو تاريخية ، أو قومية ، تجنح بصاحبها غالبا إلى الأساليب المباشرة ، والعبارات الانشائية ، وينبغى على الباحث أن يدرب نفسه على التعامل مع مثل هذه الموضوعات بمنهج حيادى يقنع القارئ أكثر مما تقنعه العبارات الحماسية ، وإذا لم يستطع الباحث أن يتجرد من ذلك ، خاصة فى بداية حياته العلمية ، فمن الأفضل أن ينصرف مؤقتا عن مثل هذه الموضوعات ، حتى يستطيع أن يكون له منهجا علميا مستقلا .

* * * *

أما الأسباب المقنعة ، فيمكن أن يتمثل بعضها فى الآتى : -

١ - أن يكون الموضوع جديدا لم يسبقه إليه أحد ، وكثير من الرسائل الجامعية المعروضة فى القسم الثانى كانت تعتبر جديدة فى حينها ، ثم أصبح الموضوع متداولا ومستهلكا ، فالجدة مرتبطة بظروفها ، وعلى الباحث أن يتنبه لذلك .

رسالة الدكتور حامد شوكت عن الفن القصصى فى مصر ، كانت جديدة فى حينها ، ثم كثرت الرسائل حول الفن القصصى ، وأصبحت بدعة تجذب الباحثين ، ويصبح من الصعب حينذاك أن يأتى الباحث بجديد .

٢ - وقد يكون الموضوع متداولا ، ولكن الباحث يقع على زاوية جديدة لم يلتفت إليها أحد من قبل فتدفعه إلى تناول الموضوع ، لقد قلت من قبل إن موضوع الفن القصصى في مصر ، تحول إلى إغراء يجذب الباحثين ، ولكن الدكتور مراد عبد الرحمن فى رسالته للماجستير عن القصة القصيرة ، يلتفت إلى زاوية أخرى فى ذلك الموضوع ، وهى زاوية الظواهر الفنية ، فيتناول الموضوع من خلالها ، ويذكر فى مقدمته هذا السبب أو هذه الظاهرة التى جعلته يتناول الموضوع مرة أخرى .

٣ - وقد تكون هناك دراسات سابقة حول الموضوع ، ولكن الباحث يجد أن هذه الدراسات لم تف الموضوع حقه ، وأنه يستطيع أن يتناوله بطريقه جديدة شاملة ومميزة تجعل الموضوع يبدو جديدا فيدفعه هذا إلى اختيار الموضوع .

الدكتور حسن اسماعيل فى رسالته للدكتوراه عن ظاهرة الكدية ، يتناول الموضوع بطريقة مختلفة فيذكر فى المقدمة أن الدراسات السابقة ، قد تركزت على أدب الكدية فى المقامات أو أنها مالت إلى الدراسات التاريخية ، وأغفلت الظواهر الفنية فيكون هذا سببا لكى يتناول الموضوع بطريقة شاملة ومميزة ، فهو يتتبع آداب الكدية فى المصادر القديمة ، ويرصد تطوره ويكشف عن ظواهره الفنية وغير ذلك مما يجعل الموضوع يستحق الدراسة من جديد .

الصعوبات وتخطيها

والحديث عن الصعوبات التى يقابلها الباحث أثناء دراسته ، وأيضا الحديث عن كيفية التغلب عل هذه الصعوبات ، لا يقصد به تضخيم دور الباحث ، ولا الإشادة بقدراته فى معالجة هذه الصعوبات ، وهذه النبرة من الافتخار قد تصاحب بعض الدارسين ، وخاصة فى مرحلة الماجستير ، فيضخمون من العقبات بهدف إبراز قدراتهم على مقاومة هذه الصعوبات .

فالهدف من ذكر الصعوبات ، هو تنوير الأجيال القادمة من الباحثين بالمشكلات الحقيقية التى قابلت الباحث ، وقد يستفز ذلك أحدهم فيبحث عن حل لمشكلة ما ، لم يستطع من قبله أن يتغلب عليها .

والجملة الأخيرة تعنى من زاوية ما ، أن هناك انفصالا بين المشكلة وبين التغلب عليها ، فليس من الضرورى أن يذكر الباحث الحل لكل مشكلة تقابله ، فقد لا يستطيع لها حلا ، حينئذ يجب عليه أن يذكرها ، كمشكلة تتطلب حلا ، وهذا ما يحدث لكثير من الرواد من أمثال طه حسن وزكى نجيب محمود ، يلمسون الكثير من المسائل من بعيد ودون تفصيل ، ثم يطلبون من أجيال الباحثين متابعة هذه المسائل بعمق وتفصيل ، وبذلك تكونت حول إشاراتهم مدارس أدبية من أجيال الباحثين . أذكر أن الدكتور طه حسين قد استعرض فى كتابه "حديث الأربعاء" حكايات المجنون وابن الملوح ووضاح اليمن وغيرهم من عشاق العرب ، ثم أشار إلى أن هناك حكايات غرامية قد انتشرت فى العصر الأموى ، وأنه يهيب بأحد الباحثين بأن يتابع هذه الحكايات ، فقد يستطيع أن يكتشف نوعا من القصص ، أحبه العرب وانتشر بينهم ، وقد التقطت هذه الإشارة من طه حسين وكانت رسالتى للماجستير ، تحت عنوان "قصص العشاق النثرية فى العصر الأموى" .

والصعوبات يجب أن تكون شيئا حقيقيا ، فبعض الدارسين يتعمدون خلق صعوبات لا مبرر لها ، وبعضهم يشير إلى صعوبات واهية تقتضيها طبيعة الدراسة ، فمنهم من يقول إنه تتبع المراجع وذهب إلى المكتبات ، واشترى بعض المؤلفات ، وأنه من أجل ذلك يشكر أمين

المكتبة الذى أعاره هذه الكتب ، ومنهم من يقول إنه راجع الرسالة ، وهى فى صورتها الأخيرة بالآلة الكاتبة ، وأنه يشكر صاحب المطبعة على كتابتها ، ويشكر من ساعده فى مراجعة النحو والصرف والإملاء .

إن مثل هذه الصعوبات واهية ، تقتضيها طبيعة البحث ، ولا تستحق الشكر ، فالبحث عن الكتاب وشراؤه أمر ضرورى ، وكتابة الرسالة ومراجعتها أمر ضرورى ، بل إن الشكر من أجل المساعدة فى النحو وغير ذلك ، يوحى بعجز الطالب فى أمور أولية ، ومسلمات بديهية ، يجب أن تتوافر عند كل جامعى حتى لو لم يكن طالبا فى الدراسات العليا ...

فالشكر لا ينبغى أن يكون من باب المجاملة ، أو لكل من هب ودب ، بل يجب أن يوجه إلى أصحاب الفضل من العلماء ، ممن ساعدوا على حل مشكلة حقيقية ، والقصد من الشكر ليس مجاملة لصاحب الفضل فحسب ، بل الإشارة إلى سلسلة العلماء ، ودور السابق على اللاحق ، حتى تتكامل حلقات البحث ويتم التعاون بين تلك الحلقات ، دفعا لمسيرة العلم ، وتكريما للعلماء .

وشىء مؤلم ما نراه هذه الأيام ، فكثير من شباب الباحثين لا يشكرون أصحاب الفضل الحقيقى ، من العلماء الذين يؤثرون أن يعملوا وأن يعيشوا فى الظل ، بعيدا عن شهوة المال والجاه ، وإنما هم يشكرون من لم يقدم لهم شيئا يستحقون عليه الشكر ، فقط هم ينتظرون منه نفعا عمليا ، كمساعدة فى ترقية ، أو فى منصب .

إن مثل هؤلاء الباحثين يصدرون عن طبيعة تاجر انتهازى ، أكثر مما يصدرون عن طبيعة باحث يعرف الفضل لذويه .

ولا شك أن الصعوبات الحقيقية التى تنبع من مشكلة علمية كثيرة ، وتختلف باختلاف كل موضوع . ومن هنا فإن سردها نوع من العبث ، وأيضا وضعها تحت تصنيفات عامة نوع من الفلسفة يغرم بالكليات .

وحتى أفيد الطالب أكثر ، سأكون عمليا ، وأعرض على الطالب بعض الصعوبات الفعلية ، من واقع الرسائل التى أنجزتها أو أشرفت عليها أو ناقشتها ، مركزا فى عرضى على أمور ثلاثة : -

١ - نوعية هذه الصعوبات .

٢ – كيفية التغلب عليها .
٣ – الهدف من ذكر هذه الصعوبات .

* * *

أكبر صعوبة قابلتنى فى رسالتى "قصص العشاق النثرية فى العصر الأموى" ، تتعلق بنسبة هذه القصص إلى العصر الأموى .

إن سلاسل الرواة لم تكن دقيقة ، بل يخيل لى أنها كانت تأتى من باب الحلية والايهام بالواقع ، فقد كانت تدور حول أعرابى ، أو واحد من المغمورين ، أو تقتصر على جزء من اسم الراوى ، أو تذكر لقبه ، أو شيئا غير محدد ، كأن تقول عن عمه ، عن أبيه ... إلخ .

فمثلا صاحب كتاب "مصارع العشاق" أحيانا يعبر تعبيرات غامضة عن الراوى .

فمرة يقول : ذكر أبو عمرو محمد بن العباس الخزاز ، وثانية يقول : ذكر أبو عمر بن العباس بن حيوه . ومرة يقول : إن أبا بكر محمد بن خلف المولى ، هو الذى حدث أبا عمر محمد بن العباس .

وثانية يقول : إن الذى حدثه هو أبو بكر محمد بن خلف ، فهل هما شخص واحد وهل هو يختلف عن أبى بكر محمد بن خلف المرزبان ، الذى ذكر الخطيب البغدادى أن محمد بن العباس المعروف ابن حيوة قد سمع منه .

وقد تغلبت على هذه الصعوبة بالرجوع إلى كتب التراجم ، وخاصة كتب الخطيب البغدادى ، وكم من قصة جعلت أبحث عنها فى المصادر ، وأتابع رواتها ، ثم أكتشف فى النهاية أنها رويت فى عصر متأخر عن العصر الأموى ، وكم من قصة أخرى ظننت أنها وردت فى العصر الأموى بسبب علم أو إشارة وردت بها وقد بنيت على هذا الظن الكثير من التحليلات والاستنتاجات . ثم أكتشفت بعد ذلك أنها لا تنتسب إلى العصر الأموى ، وأن هذا العلم قد ورد من قبيل الاستشهاد بشعره .

وقد ذكرت هذه الصعوبات ، بهدف تنبيه الباحثين لكى يتمهلوا فى تحديد عنوان الرسالة وأن يناقشوا المشرف مرات قبل الخطوات الفعلية لإنجاز الرسالة ، فقد اكتشفت أن الموضوع "قصص العشاق" ينتمى إلى الأدب الشعبى ، وهو أدب مجهول المؤلف ، لا يحتاج لفكرة التقسيم إلى عصور .

إن الحديث عن هذه القصص فى العصر الأموى وحده ، يكلف الباحث الكثير من الجهد والتحقيق الذى لا مبرر له ، وقد انسقت إلى ذلك بسبب من طه حسين ، الذى نسب الحكايات الغرامية إلى العصر الأموى ، ونظرا لقوة شخصيته ومكانته العلمية وحبى له فى فترة شبابى ، تابعته فى هذا الظن دون تروٍ .

وهنا أحذر الطالب من الشخصيات القوية ، وخاصة تلك التى يعجبون بآثارها ، فقد يقعون تحت تأثيرها ويتقبلون أحكامها .

إن على الباحث أن يقاو م الشعور الأول ، وأن يناقش كل شىء ، فنحن لسنا فى مجال المسلمات والغيبيات التى تقوم على التسليم دون المناقشة ، بل نحن فى مجال الدرس الجامعى ، الذى يتشكك لكى يصل إلى الحقيقة ، وقد تكون النتيجة موافقة ، ولكنه لن يصل إليها إلا بعد مرحله التشكك فى كل ما يقال ، حتى لو كان صادرا عن كبير .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن فكرة التحديد بعصر ما ، تتناقض مع طبيعة الأدب الشعبى ، الذى يتخطى العصور ، لأنها من تقسيمات الخاصة وفى العصر الحديث ، والفنان الشعبى لا يخضع لمثل هذه التقسيمات ، ومن هنا وجدتنى مضطرا أن أعقد فصلا عن مصادر هذه القصص أعودبها إلى الوراء ، وأن أعقد فصلا آخر عن تطور هذه القصص أتابعها فى المستقبل ، وبهذين الفصلين استطعت أن أكسر حاجز الزمن .

* * * *

وقد لا تكون الصعوبة مفروضة على الباحث بسبب مشكلات علمية طارئة ، ولكن تطلعه نحو الأفضل يدفعه إلى تتبع زوايا ، وفرض مسئوليات قد لا تهم من يرضى باليسير من الأمور .

وسنضرب على ذلك مثالين : –

أحدهما : الدليل الذى قام به الدكتور ماهر الملاح ، كملحق لرسالته عن "الظواهر الفنية للقصة القصيرة فى مصر فى الربع الثالث من القرن العشرين" .

والأخر : رسالة الدكتور محمد عثمان تحت عنوان "منهج الحوفى فى تفسير القرآن" .

* * * *

فالدكتور ماهر الملاح لم يرض بالطريق السهل والمطروق ، وأفاد من تجربة الدكتور سيد النساج والدكتور مراد عبد الرحمن ، فقام بعمل دليل يسد الكثير من الثغرات ، وحمل نفسه الكثير من الصعوبات فلم يقف عند الدوريات المتخصصة ، بل رجع إلى مختلف الدوريات ، يومية وأسبوعية وشهرية وفصلية وحولية .

ولم يعتمد على فهارس الدوريات ، فقد تكون فى بعض الأحيان مضللة ، أو أنها فى غير موضعها ، ولم يخلط بين القصة القصيرة والخاطرة والرحلة والمشكلة ، بل استخدم المعيار الفنى الذى يميز القصة القصيرة عن غيرها .

وأخيرا قام بعملية تحقيق للكتاب المصريين ، فاستبعد غير المصريين ، واقتضاه هذا جهودا كثيرة ، فالمجلة لا تذكر الدورية ، والأسماء متشابهة ، يمكن أن تستخدم فى مصر أو فى غيرها ، والمشكلات متقاربة ، وكل هذا يوقع على عاتق الباحث مسئولية كبيرة فى تحقيق جنسية كل كاتب .

إن الباحث هنا وبدافع من طموحه ، خلق صعوبات علمية ، وتحداها ، وكانت النتيجة دليلا مميزا يضيف إلى الدليلين السابقين ، ويستدرك عليها ، وينقح ، وأحياناً يصحح ، ويعلق .

* * * *

أما الدكتور محمد عثمان فكان يكفيه أن يلجأ إلى تفسير مطبوع ومحقق ، ويقوم بعمل رسالة حوله ، كما يفعل الكثيرون ، ولكنه اختار أصعب الطرق ، فلجأ إلى تفسير مخطوط ، وهو تفسير الحوفى .

ومما يزيد الأمور صعوبة أن هذا المخطوط تناثر أجزاوه بين المكتبات ، فلم يكتف الباحث بالأجزاء الخمسة عشرة الموجودة بدار الكتب ، بل أضاف إليها ستة أجزاء أخرى ، وجدها الباحث بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

وقد كتبت هذه الأجزاء فى فترات مختلفة، وبخطوط ورسوم مختلفة ، هناك مثلا نحو ثلاثين عاما ، تمتد بين كتابة الجزء الثالث والجزء السادس ، إن كلمة مثل كلمة "قراءة" وردت فى صور مختلفة هى : قراءة – قرأه – قراه .

وبعض الكلمات بدت رديئة وبها خروم .

ولكن الدكتور محمد عثمان ارتضى هذا الطريق ، وتصدى لعقباته ، وقام بعمل مزدوج ، فك طلاسم المخطوطات ، ثم كتابة رسالة حوله ، ولم يرض بعمل واحد ، يختار كتابا مخطوطا ومطبوعا ، ويقوم بعمل رسالة حوله .

* * * *

إن ذكر مثل هذه الصعوبات ، إنما يحث الباحث لكى يختار الطريق الصعب ، فلا شىء يضيع والجهود المبذولة تقدرها فى النهاية لجنة المناقشة ، وتكتب فى تاريخ الباحث ، وترددها الأجيال بعده .

المصادر والمراجع

بداية يجب أن نفرق بين أمرين : –

مصادر الرسالة ... ومصادر موضوع الرسالة .

مصادر الرسالة تعنى المؤلفات والدوريات ، التى استقى منها الباحث مادة رسالته ، وتوصل من خلالها إلى استنتاجاته الأخيرة .

أما مصادر موضوع الرسائل ، فهى تعنى متابعة جذور الموضوع فى الماضى سواء كان الموضوع قضية أو شخصية .

إن قضية مثل قضية "الاتجاه الرومانسى فى الشعر الفلسطينى" تضرب بجذور إلى مصادر عديدة ، ومن هنا اقترحت على الباحث الأستاذ نظمى محمود بركة ، أن يتابع هذه الجذور فى : –

١ – التراث .
٢ – الرومانسية العربية الحديثة .
٣ – الرومانسية الغربية .

وشخصية مثل شخصية "حازم القرطاجنى" تلتمس ثقافتها من النقد العربى من جهة ، ومن الفلسفة الإسلامية من جهة ثانية ، ومن الفلسفة اليونانية من جهة ثالثة ، ومن هنا اضطر الباحث الدكتور صفوت عبد الله إلى متابعة كل هذه المصادر .

* * * *

ومصادر موضوع الرسالة ، تدخل فى صلب الرسالة كباب رئيسى ، يعود فيه الباحث إلى الماضى ، ويبحث عن خيوط رسالته ، وكثير من الدارسين يتجنبون هذا الباب ، لأنه يحتاج إلى صبر على متابعة الخيوط ، وخاصة إذا كانت متشعبة أو متعددة .

إن بعض الشخصيات التى يقوم الباحث بدراساتها متشعبة المصادر ، ومتنوعة الثقافة، تتطلب من الباحث قدرا كبيرا من الصبر ، حتى يستطيع أن يلم كل الخيوط ، ويتابع كل

المصادر . فشخصية مثل طه حسين يرجع تكوينها الثقافى إلى جذورها الأولى فى بيئة الصعيد من ناحية ، وإلى ثقافته العربية الإسلامية من ناحية ثانية ، وإلى ثقافته الأوروبية الفرنسية من ناحية ثالثة .

ومن هنا يجب على الباحث الذى يختار شخصية كهذه أن يتسلح بالصبر وشمول النظرة حتى يستوفى كل هذه المصادر .

ولكن بعض الدارسين يعاملون هذا الموضوع بخفة ، فيقفون عند بعض المصادر ، ويتجاهلون بعضها الآخر فالباحث الجزائرى "زغدود قورة" فى رسالته عن "شعر عبد الرحمن الحميدى المصرى وحياته [1]" تتبع مصادر الصورة الشعرية عند هذا الشاعر (١/١١٤) ، ولكنه حصرها فى الطبيعة ، ساكنة أو متحركة ، وفى الإنسان وأدواته مثل التاج والسيف ، وتجاهل أهم هذه المصادر وهو تتبع جذور الصورة الفنية ، فى التراث الشعرى السابق لهذا الشاعر .

* * *

إن تتبع مصادر الموضوع باب من أبواب الرسالة فى غاية الأهمية ، لأنه يكشف عن أصالة هذا الموضوع ، فيما إذا كان ترديدا للخبرة السابقة . أو أنه يفيد منها ، ثم يبنى عليها ، ويضيف ، ويقدم فى النهاية وجهة نظر خاصة .

إن شاعرا مثل عبد الرحمن الحميدى ، يردد الصور والأفكار السابقة دون أن يضيف الجديد الذى يميزه ، وقد ذكر الباحث الجزائرى تلك الحقيقة فى أكثر من موضع فى رسالته ، ولكنه لم يتتبع مصادر هذا الشاعر فى التراث الشعرى ، فافتقد بذلك معيارا خطيرا ، يمكن أن يمتحن به أصالة هذا الشاعر من ناحية ، وأن يؤكد استنتاجاته من الناحية الأخرى .

ومن هنا وجب على الباحث ألا يقف عند حدود ذكر مصادر موضوعه ، وإنما يتجاوزها إلى شىء وراء ذلك ، وهو الكشف عن مدى إفادة موضوعه من المصادر السابقة ، وبذلك يستطيع أن يمتحن الأصيل من غيره .

فالدكتور صفوت فى رسالته عن حازم القرطاجنى ، لم يفض كثيرا فى الحديث عن

---

(١) قدمها إلى قسم اللغة العربية ، كلية الآداب – جامعة عين شمس – ١٩٩١ م .

تمثل حازم لمصادره ولو فعل لاستطاع أن يكشف عن خصوصية هذا الشاعر ، هل هو من أصحاب النظريات التى يقدم وجهه نظر خاصة ، أو أنه يكتفى بعملية التوفيق بين الأفكار المختلفة ، ونقل قوالب يونانية ، ثم صبها على الشعر العربى .

إن تشعب المصادر وتنوعها ليس فى حد ذاته عيبا ، فلا يوجد الإنسان الذى يبدأ من فراغ ، والأسد هو عدة خراف مهضومة ما يقول المثل الفرنسى ، وإنما العيب فى أن يقف الشاعر أو الأديب عند تلك المصادر ، فيردد أفكار السابقين ، كما تردد الببغاء أصوات المتحدثين .

وقد خلق الله الأسد وخلق الببغاء أيضا ، ولكن فرق كبير بين كائن يتحكم فى ممكلته ، وكائن آخر يقوم بدور التسلية .

* * *

أما مصادر الرسالة ، فهى كما قلت من قبل ، المظان التى يستقى الباحث منها مادته ، ويصل من خلالها إلى استنتاجاته .

وقد تكون ميدانية ... أو نظرية

فالمصادر الميدانية هى التى يستقيها الباحث من ميدان الحياة ومن أفواه الناس ، وذلك مثل موضوعات الأدب الشعبى ، والموضوعات التربوية التى تتعلق بالمناهج الدراسية ، أو بقياس قدرات التلميذ ، أو غير ذلك من موضوعات تهتم بها كليات التربية .

إن موضوعا مثل الأغانى الشعبية أو الأمثلة الشعبية ، فى منطقة ما ، لا يكفى فيه أن يجلس الباحث وراء مكتبه ، ويواصل استنتاجاته من خلال قراءاته ، بل لا بد له أن ينزل إلى الميدان وأن يجمع مادته ، ويوثقها ، ويصنفها ، ويصل من خلال ذلك إلى استنتاجاته النظرية .

وإن موضوعا أخر يتعلق بالتعبير ، أو بالقراءة ، أو رصد الخيال عند تلاميذ المرحلة الابتدائية لا تكفى فيه القراءة وحدها ، بل لابد للباحث من النزول إلى الميدان ، واختبار العينة الممثلة ، ثم إعداد لاستمارة المناسبة ، ثم طرحها أمام العينة ، وأخيرا قراءتها تمهيدا لاستخلاص النتائج الأخيرة .

أما المصادر النظرية فهى الكتب والمقالات والبحوث ، وغير ذلك من مؤلفات ودراسات يقوم الباحث بقراءتها ، ثم يستخرج منها نتائجه ، التى يلخصها بصورة مجملة فى نهاية بحثه .

والأمثلة على المصادر النظرية كثيرة وشائعة ، مما نراه فى ثبت المصادر والمراجع ، فى نهاية الرسائل التى تقدم إلى كليات الآداب ودار العلوم وغير ذلك من كليات أكاديمية متخصصة .

* * *

ونحن هنا لا نفاضل بين مصادر ميدانية ومصادر نظرية ، فلكل مجاله ، ولكن المهم ألا نجعل مجالا يطغى على حساب مجال آخر .

فالدكتور على عبد الفتاح على ، يقدم رساله دكتوراه عن "إعداد برنامج للتدريب على مهارات التعبير الكتابى الإبداعى والوظيفى ، لتلاميذ الصف السادس بمرحلة التعليم الأساسى" ، وهى رسالة تربوية كما هو واضح من العنوان ، وكان من المفروض أن يركز على المصادر الميدانية بالدرجة الأولى ، ولكن الدكتور على عكس الأمر ، وجاءت رسالته تهتم بالجانب النظرى ، وتوقف فصولها الخمسة على هذا الاطار النظرى ، أما الجانب التجريبى فقد جاء على هيئة ملاحق ، وضعت بعد الهيكل النظرى ، وبطريقة عشوائية ، تخلو حتى من الفهرست .

* * *

وفى مجال المصادر النظرية ، والتى تهمنا بحكم التخصص ، فإنها تختلف باختلاف الموضوع ، فقد يكون الموضوع ذا طبيعة تاريخية ، أو أدبية ، أو شاملة ، والمصادرحينئذ يجب أن تكون تاريخية ، أو أدبية ، أو شاملة ، بحسب الموضوع .

إن موضوعا مثل "شعر الحياة العامة فى العصر العباسى" يبدو ذا طبيعة شاملة ، ومن هنا تعددت مصادره كما يدل ثبت الرسالة .

ولا يعنى هذا أفضلية الموضوعات الشاملة ، بل بالعكس ربما كانت الموضوعات المحددة تعين الباحث على الوصول إلى نتائج محددة ، وتمكنه من استيعاب مصادره ، بصورة دقيقة ، قد لا يستطيعها مع الموضوعات الشاملة ، التى تتنوع مصادرها ، ويصعب استيعابها .

* * *

المصادر النظرية تختلف باختلاف الموضوع كما قلت ، ولا ضير فى ذلك ، وإنما الضير فى أن تختلط المصادر ، فتكون تاريخية والموضوع أدبى ، أو أدبية والموضوع تاريخى ، إن رسالة الدكتور النهارى عن شعر الحياة العامة العباسى ، هى رسالة أدبية ، وكان المفروض أن يلتمس صاحبها نتائجها من مصادر أدبية ، كداووين الشعراء ، ولكن الأمر اختلف فقد رجع إلى مصادر تاريخية ، وجاءت نتائجه تأكيدا لقضايا تاريخية ، أكثر منها تأكيدا لقضايا أدبية .

* * *

ولا بد للباحث أن يتابع مصادره بصورة دقيقة كما قلت .

فلا يهمل شيئا منها ، فقد يكون هذا الشىء ذا دلالة فى الوصول إلى نتائج جديدة .

وهذا يعنى أن نظام "العينات" لا يصلح للدراسات الأدبية والفنية ، وهو نظام يقوم على انتقاء "عينة" يقوم الباحث بدراستها ، ثم يتوصل إلى نتائج يحسبها على المجموع الكلى ، الذى اختار منه أفراد العينة .

قد يكون لهذا النظام مجاله فى دراسات أخرى ، تتشابه فيها أفراد المجموع ، ويمكن فى هذه الحالة أن تقوم العينة مقام الكل .

أما الدراسات الأدبية والفنية فإنها ذات صبغة خاصة ، وكل جزء تمثل عالما خاصا ، له حركته الخاصة ، قد يشترك مع بقية الأفراد فى سمات رئيسية ، ولكن يبقى له فى النهاية وجوده الخاص .

وسنختار من الرسائل التى عرضت فى القسم الثانى ، رسالتين تكشفان عن فشل نظام العينات .

أولاهما : رسالة الدكتور ماهر الملاح تحت عنوان "الظواهر الفنية للقصة القصيرة فى مصر فى الربع الثالث من القرن العشرين" ، وقد أورد الباحث ملحقا ببلوجرافيا للقصة القصيرة فى مصر وفى تلك الفترة ، وبلغ عدد الكتاب فى هذا الملحق نحوا من ٩٨٠ كتابا ، وبلغت قصصهم نحوا من ثمانية آلاف قصة .

ولكن الباحث لم يتقص فى الدراسة معظم هذه القصص ، بل اختار عينة منها ،

واستشار الكومبيوتر فى تلك العينة ، وكانت النتيجة أن الدراسة اقتصرت فى النهاية على تلك العينة المنتقاة ، والتى لم تزد عن ٣٩ قصة ، أخذ الباحث يدرسها خلال فصول الرسالة، وينثر مضمونها ، ويكرر محتواها من فصل إلى فصل ، دون أن يركز على الخصائص الفنية التى تميز كل قصة من قصص تلك الفترة المميزة .

أما الرسالة الأخرى فهى للدكتور حسن محمد عليان تحت عنوان "البطل فى الرواية العربية فى بلاد الشام ، بعد الحرب العالمية الأولى وحتى ١٩٧٣م" ، وعلى الرغم من اتساع المكان والزمان فى تلك الرواية ، والذى يؤدى بالضرورة إلى كم هائل من الروايات ظهر فى تلك البقعة الممتدة وفى ذلك الزمان المتسع ، إلا أن الباحث حصر حديثه حول ستة وعشرين كاتبا ، أخذ يكررهم من فصل إلى فصل ، ثم يصل إلى نتائج يعممها على بقية أفراد المجموع .

* * *

ذكرت من قبل أن الباحث قد يخلط بين مصادره ، فيستخدم مثلا مصادر تاريخية فى مجال أدبى وأضيف هنا خلطا آخر شائعا ومتكررا بين طلاب الدراسات العليا ، وهو الخلط بين المصادر الحقيقية ، التى يستقى منها الباحث ، مادة موضوعه ، ويتوصل إلى نتائجه الأخيرة ، وبين المراجع الأخرى التى تعينه على مناقشة نتائجه الأخيرة .

وليست هناك قاعدة ثابتة للتفريق بين المصادر والمراجع بصورة قاطعة ، فلا يقال مثلا ، وكما يظن كثير من الطلاب ، إن المصادر هى المؤلفات التراثية القديمة ، وأن المراجع هى المؤلفات الحديثة ، فإن أمر ذلك كله متروك لموضوع الدراسة ، فهو الذى يحدد نوعية مصادره ومراجعه .

فقد يكون الموضوع مثلا عن "شعر المتنبى" ، وحينئذ فإن دواوين المتنبى تكون مصدرا أصليا ، يستنتج منها الباحث قضاياه .

أما كتابات طه حسين والشيخ شاكر وغيرهما من المعاصرين عن المتنبى ، فإنها فى هذه الحالة تمثل مرجعا ، يفيد الباحث فى مناقشة قضاياه ، وقد يتفق الباحث فى النهاية مع المرجع وقد يختلف أيضا ، ولكنه فى كلتا الحالتين لا يجوز له أن يستقى منه الباحث مادته الأصلية .

وقد يكون موضوع الرسالة هو نقد الدراسات التى كتبت حول المتنبى ، وحينئذ تصبح كتابات طه حسين وغيره عن المتنبى مصدرا رئيسيا ، يستقى منه الباحث مادته ، ويصل إلى استنتاجاته ، أما شعر المتنبى فإنه يتحول إلى مرجع ، يناقش الباحث من خلاله كتابات المعاصرين .

* * *

ومثل هذه المرونة فى التفريق بين المصدر والمرجع ، تنطبق على الكتابات الصحفية ، وعلى الاستشهاد بأحاديث أجهزة الإعلام ، مسموعة أو مرئية .

فإذا كان موضوع الرسالة يتعلق بدور الصحافة والإعلام فى مسيرة الحركة الأدبية والثقافية ، أو بدراسة الصحافة الأدبية المتخصصة ، أو أبواب الأدب والفن والثقافة فى الصحف وأجهزة الإعلام ، ففى مثل هذه الحالة يجوز الاستشهاد بآراء الصحافة وأجهزة الاعلام ، بل تعتبر مصدرا أصليا ، يستقى منه الباحث مادته ، ويتوصل إلى استنتاجاته .

أما إذا كان موضوع الرسالة لا يتعلق بأجهزة الاعلام ، فإنها فى هذه الحالة لا تعتبر مصدرا أصليا ، بل وأكثر من ذلك لا يجوز للباحث أن يعتمد عليها حتى كمرجع فى رسالته ، سواء كانت على هيئة كتابات ، أو على هيئة مؤلفات كتبها صحفيون مهما بلغت شهرتهم .

فالصحيفة أو الدورية التى يجوز للباحث أن يرجع إليها ، يجب أن تكون متخصصة ، وهى ما تعرف فى العرف الجامعى بالمجلة المحكمة ، أى المجلة التى يراجع نصوصها مجموعة من الأساتذة الجامعيين ، يحكمون على مستواها العلمى ، وفيما إذا كانت مستوفية الصورة الأكاديمية ، وجديرة بالنشر للقارئ المتخصص .

وأحب أن أؤكد على هذه النقطة ، الخاصة بتجنب الرجوع إلى الكتابات الصحفية لسببين : —

١ — إن الصحافة ، وخاصة فى العالم الثالث ، لا تخضع لتقاليد تفرض عليها الحيادية ، فهى موجهة من ناحية ، وتبحث عن المثير من ناحية أخرى ، ومن هنا يمكن أن تحرف الخبر أو توجهه لأغراض بعيدة عن الموضوعية .

٢ — إن كثيرا من الباحثين ، وخاصة فى مرحلة الماجستير ، تغريهم شهرة صحفى ،

فينقلون منه ، ومن هنا نجد من الأخطاء الشائعة الرجوع إلى المراجع الصحفية غير المتخصصة ، أو إلى أحاديث أجهزة الإعلام .

* * *

والباحث يجب أن يعود إلى المصدر نفسه يستقى منه أحكامه ، ولا يجوز له بأى حال من الأحوال أن يعود إلى مصدر آخر ، قد نقل عن المصدر الأول ، إذ من الجائز أن يكون قد نقل النصوص محرفة ، أو تصرف فيها ، أو اقتطعها من سياقها العام ، إن النقل عن المصدر الآخر . وهو ما يسمونه بالمصدر الوسيط ، أمر مضلل فى أغلب الأحيان .

فمثلا إذا كان موضوع الرسالة هو "قصص العشاق النثرية فى العصر الأموى" فلابد للباحث حينئذ أن يلتمس أدلته من المصادر القديمة مثل : تزيين الأسواق ، ومصارع العشاق ، والأغانى .

ولا يجوز له أن يلتمس هذه الأدلة من مصدر وسيط قد نقل عن هذه المصادر الأصلية ، إن كتابا مثل "قصص العرب" للشيخ محمد أحمد جاد المولى وزميليه ، قد نقل الكثير من القصص من مظانها الأصلية ، وصنفها ، وأشار فى الهامش إلى المصدر الأصلى ، ولكن لا يجوز للباحث أن ينقل مادته من هذا الكتاب ، لأنه مصدر وسيط قد نقل عن المصدر الأصلى ، ومن الجائز أن يجد الباحث فيما تصرفوا فيه شيئا له دلالته على نتائج بحثه .

* * * *

وخير طريقة أراها لتكوين شخصية الباحث ، هى أن يقرأ أولا المصادر الأصلية ، ثم يكون له وجهة نظر مستقلة ، دون تأثير من اعتبارات خارجية ، وبعد ذلك يمكنه قراءة المراجع المساعدة وذلك لمناقشة الأفكار التى استنتجها ، وقد يصل إلى تدعيمها أو تعديلها ، ولكنه على أى حال يصدر عن أرضية خاصة به .

فمثلا إذا كان الموضوع هو "الشعر العذرى" فنصيحتى أن يبدأ بقراءة دواوين العذريين ويتفحصها لفترة ، ثم يصل إلى استنتاجاته الخاصة .

ثم تأتى بعد ذلك الخطوة الثانية ، فيقرأ ما كتبه حول هذا الموضوع ، باحثون معاصرون من أمثال : طه حسين ، والعقاد ، وزكى مبارك ، ومحمد غنيمى هلال ، وموسى سليمان ، وعبد

الستار الجواري . ويمتحن آراءهم على ضوء أفكاره التى استنتجها من المصادر الأصلية .

وأحب أن أؤكد على هذه النقطة ، لأن كثيراً من الدارسين يبدءون بقراءة المراجع المساعدة ، ويتأثرون بمؤلفيها ، وخاصة إذا كانوا من الشخصيات البارزة ، ولا يستطيعون التخلص من هذا التأثر حينما يعودون إلى قراءة المصادر الأصيلة .

إن ما كتبه طه حسين فى حديث الأربعاء عن الحب العذرى ، وتأثير الإسلام على نشأته ، قد أصبح من القضايا المسلمة فى ذهن الباحث ، فينطلق من تلك المسلمة ، وكل همه أن يحصى ما فى الشعر العذرى من تأثيرات إسلامية ، ولو أنه بدأ طريقه بقراءة المصادر الأصلية قبل كل شيء ، وترك ذهنه مفتوحا لالتقاط ما يوحى به النص الأصلى ، ودون قوالب مسبقة ، فربما استطاع أن يصل إلى نتائج مستقلة ، يناقش من خلالها آراء طه حسين وغيره .

* * *

ويأتى ثبت المصادر والمراجع فى نهاية الرسالة ، ليحوى كل ما كتب حول هذا الموضوع ، سواء كان على هيئة مؤلفات ، أو دوريات ، أو مخطوطات ، أو رسائل جامعية .

المهم ألا يترك الباحث شيئا حول هذا الموضوع إلا ويلم به ، لأن شأن الدراسات الجامعية أن تقوم على علمية الاستقصاء ، وليس الاقتصار على عينة منتقاة .

وهناك أكثر من طريقة فى تفصيل المصدر أو المرجع ، بعض الباحثين يتأثرون بالطريقة الانجليزية ، يذكر اسم المؤلف أولا ، وغالبا ما يبدأ باسم الشهرة أو الجد ، ثم يورد بعد ذلك كتابات المؤلف مثل : -

إبراهيم عبد الستار (دكتور) : -

١ - ديناميات العلاقة بين التسلطية وقوة الأنا : رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٦٨م .

٢ - التسلطية وقوة الأنا ، فى "قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية" القاهرة - دار الكتاب العربى - المجلد الثانى - ١٩٧٠م .

٣ - العمليات المعرفية لهاربر وأخرين - المجلة الاجتماعية القومية - ٧ - ١ - ١٩٧٠م .

٤ - البناء المعرفى والمضمون الايدلولوجى للتسلطية : نحو مقياس جديد للتسلطية - المجلة

الاجتماعية القومية – ١٩٧٢م .

٥ – بعض متعلقات الجمود العقائدى : بحث تجريبى . الكتاب السنوى للصحة العقلية – المجلد / ١٢ – عدد / ٨ – ١٩٧٢م .

٦ – بين المنهج والنظرية فى علم النفس المعاصر – الفكر المعاصر – فبراير ١٩٧٠م .

وبعض الباحثين يذكرون عنوان المصدر أو المرجع ، ثم بعد ذلك اسم المؤلف ، ثم تفصيلات المرجع ، مثل : –

– ابراهيم الكاتب : ابراهيم عبد القادر المازنى (القاهرة – منطقة دارالترقى – الطبعة الأولى – ١٩٣١م) .

ولكل طريقة ميزتها ، فالطريقة الأولى تسرد كل ما كتبه المؤلف فى الموضوع ، والطريقة الثانية تذكر كل ما كتب حول هذا الموضوع ، ومن مؤلفين مختلفين .

والكتب العربية الحديثة تتردد بين تلك الطريقتين ، ولكن لابد من حسم هذا التردد ، وإرساء تقاليد يتفق عليها الجميع ، وأفضل شخصيا الطريقة الثانية ، لأن الكتب العربية قديما ومنذ عصر النهضة قد انحازت إلى هذه الطريقة ، فتحقق لها قدر من الاستقرار .

وينبغى للباحث أن يذكر التفصيلات فى ثبت المصادر والمراجع فى نهاية رسالته فيذكر العنوان ، ثم المؤلف ، ثم المحقق ، أو المترجم ، ثم يضع بين قوسين كبيرين اسم البلد ، والناشر وتاريخ الطبعة إن وجد ، وإذا لم يوجد فإنه يضع رمز "د . ت" ، أى دون تاريخ ، وذلك مثل : –

– تاريخ الآداب العربية : الأب لويس شيخو اليسوعى .
(بيروت – مطبعة الآباء اليسوعين – ١٩٥٦م)
– يوميات نائب فى الأرياف : توفيق الحكيم .
(القاهرة – مكتبة الآداب بالجماميز – د . ت) .

* * *

وتلك التفصيلات فى ثبت المصادر والمراجع فى نهاية الرسالة ، تغنى الباحث عن التفصيلات فى هوامش الرسالة ، فهو مطالبا بذكر كل تلك التفصيلات ، وفى كل مرة يرد فيها ذكر المرجع فى الهوامش، وإنما يكفيه أن يذكر فى الهامش العنوان والجزء والصفحة

هكذا ٩ / ١٣٢ أى الجزء التاسع ، صفحة ١٣٢ ، أما إذا أراد القارئ شيئا من التفصيلات عن الناشر أو التاريخ ، فيمكنه أن يعود إلى ثبت المصادر فى نهاية الرسالة ، ومن هنا يجب على الباحث أن يلتزم بطبعة واحدة طيلة الرسالة ، ولا يتنقل من طبعة إلى طبعة ، ومن سنة إلى سنة ، حتى لا يحدث قدرا من التشويش .

وأحيانا يضطر الباحث إلى الرجوع إلى أكثر من طبعة للكتاب الواحد ، وحينئذ يجب أن يذكر فى الهامش وفى كل مرة اسم الطبعة ، فمثلا كتاب الأغانى له طبعات مختلفة ، وإذا لم يتيسر للباحث طبعة فى كل الأجزاء ، ووجد نفسه فى بعض الأجزاء يعود إلى طبعه أخرى ، فيلزمه حينئذ أن يذكر اسم الطبعة وفيما إذا كانت "ساسى" أو "دار الكتب" أو "بيروت" أو "الكويت" أو "دار الشعب" .

وقد اضطرت إلى ذلك فى رسالتى للماجستير ، ومع كتاب الأغانى بالذات ، ولكنى أوضحت ذلك فى المقدمة وقلت : –

"وكنت أضطر فى بعض الأحيان إلى الرجوع إلى أكثر من طبعة للمرجع الواحد ، وعلى هذا فإذا كانت الطبعة التى رجعت اليها موحدة فى جميع الرسالة ، لم أجد داعيا إلى ذكر الطبعة فى هوامش الرسالة ، اكتفاء بذكر ذلك فى قائمة المراجع .

وإذا كنت قد اضطررت إلى الخروج عن هذه الطبعة الموحدة مرة أو مرتين أو ثلاثا ، فإننى سأذكر فى الهامش الطبعة وتاريخها إن وجد ، فى المرات القليلة التى خرجت فيها عن الطبعة الموحدة ، أما إذا كنت قد اضطررت إلى الرجوع إلى طبعات مختلفة ، فلا بد لى فى هوامش الكتاب من ذكر كل طبعة وتاريخها" .

* * *

والباحث ليس مطالبا فى مقدمته أن يشير إلى كل المصادر ، لأن ثبت المصادر فى نهاية الرسالة يغنيه عن ذلك ، ويكفيه أن يشير إلى أهم المصادر التى لها دلالة ، كمخطوط جديد ، أو مقالة مفقودة ، أو مصدر ميدانى .

ثم يشير بعد ذلك إلى الترتيب الذى اختاره لمصادره ، وهل هو ترتيب أبجدى أو هجائى أو موضوعى ، وكيفية الترتيب بين مصادره ومراجعه المختلفة ، بأن يبدأ مثلا بالمصادر والمراجع ثم المترجمات ، ثم المؤلفات الأجنبية ، ثم المخطوطات ، ثم الرسائل الجامعية ، ثم الدوريات .

هو حر فى اختيار الترتيب ، فقط يلزمه أن يشرح ذلك بالتفصيل فى مقدمته .

المنهـــج

لابد من التفريق بين أمور ثلاثة هى : -

١ - الموضوع .
٢ - الخطة .
٣ - المنهج .

* * *

أما الموضوع فهو ما تدور حوله الرسالة ، كأن تكون عن امرئ القيس ، أو عن الغزل العذرى .

وقد يكون الموضوع شخصية من تلك الشخصيات التى يحفل بها تاريخ الأدب العربى ، على مدى عصوره المختلفة، وقد يكون تيارا ... أو مدرسة .

* * *

ولسنا نفضل موضوعا على موضوع فلكل موضوع ميزاته .

فالشخصية تبرز لنا دور علم من الأعلام ، ونلتمس عطاءه الفكرى خلال صورة عصره .

ودراسة الشخصية أمر سهل على الباحث وهو فى بداية حياته ، إذ يمكنه أن يعود إلى المصادر والفهارس والموسوعات ، وتجميع كل ما يدور حول الشخصية ، ثم يقوم بتحليله .

أما دراسة التيار فهو يتم من خلال شخصيات عديدة ، تشترك فى اتجاهات متماثلة ، يتابع الباحث تطورها على مدى عصور متلاحقة .

ويزداد الأمر صعوبة عند دراسة المدرسة ، والباحث مطالب بأن يكشف عن فلسفتها ، وامتداد تلك الفلسفة على مدى أجيال متلاحقة .

وهناك ملاحظة فى تاريخ الأدب العربى ، أن كثيرا من الظواهر تتهيأ لها إمكانية أن تتحول إلى مدرسة ، ولكنها - لأسباب كثيرة ليس هنا مجال تفصيلها - تتوقف فى منتصف الطريق .

حاول الدكتور صفوت عبد الله أن يلتمس عند حازم القرطاجنى مدرسة ، وحاول أيضا

الدكتور محمد نجيب التلاوى مع طه حسين ، وكذلك حاول الدكتور حسن إسماعيل ذلك مع تيار الكدية ، والمحاولة نفسها قام بها الدكتور عمر عبد الواحد مع التيار النقدى فى القيروان .

ولكن الجميع لم يستطيعوا أن يقفوا على مدرسة مميزة ، وذات فلسفة معينة ، ولها امتداداتها مع الأجيال المتتالية .

* * *

لكل موضوع كما قلت ميزته ، وقد تأتى رسالة ما فتحاول الإفادة من كل الميزات السابقة ، كما فعلت رسالة "القصة المصرية وصورة المجتمع الحديث" ، فقد تردد صاحبها فى اختيار الزاوية ، التى ينطلق منها فى معالجة موضوعه ، هل ينطلق من الشخصية ، فيتحدث فى فصول مستقلة عن طه حسين ، وهيكل ، ولاشين ، وأحمد خيرى سعيد وغيرهم ، أو يختار اتجاها أدبيا ، فيتحدث عن الاتجاه الذاتى ، أو الاتجاه الرومانسى ، أو الاتجاه التسجيلى، أو الاتجاه الواقعى . أو يتحدث عن البئية الشامية ، أو البيئة التركية ، أو البيئة المصرية ، أو عن القصص التى تدور حول العمال ، أو رجال الدين ، أو الطبقة العليا ، أو الفلاحين ، أو غير ذلك .

وأخيرا ارتضى الباحث طريقة تجمع بين كل المزايا السابقة ، فجاءت فصول تتحدث عن هيكل ، والحكيم وتيمور ، ولاشين . وجاءت أبواب تتحدث عن الاتجاه الذاتى ، وعن الاتجاه التسجيلى ، وغير ذلك .

* * *

أما الخطة فهى عبارة عن تقسيم الرسالة إلى أبواب وفصول ، وهى دائما قابلة للتعديل ، ومن خلال الحوار المستمر مع المشرف ، حتى تستقر فى النهاية على صورة أخيرة تتم بها الرسالة ، وهى الصورة التى نجدها عادة فى فهرست كل رسالة .

وكل موضوع يفرض خطته الخاصة به ، فيما إذا كانت الرسالة تحتاج إلى تمهيد أو لا تحتاج ، وفيما إذا كان يمكن تقسيمها إلى أبواب وفصول ، أو يكفى أن تتوالى فصلا وراء الآخر دون حاجة إلى أبواب ، وغيرذلك من مسائل سوف نشير إليها مرة أخرى ، حينما نصل إلى الجزء الذى يتحدث عن صلب الرسالة .

* * *

أما المنهج فهو طريقة معالجة الموضوع وقد تعددت المناهج وتفرعت ، وأصبح لها علم

مستقل ، يسمى "علم مناهج البحث" .

وقد يرتبك الطالب كثيرا أمام سيل المناهج ، من منهج تاريخى ، إلى منهج اجتماعى ، إلى منهج نفسى ، إلى منهج جمالى ، إلى منهج بنائى ، وغير ذلك .

ونحن لا نحظر على الطالب معرفة المناهج بل نحثه على قراءة متأنية فى علم منهج البحث ، لكى يكتسب سعة الأفق ، وقوة الالتقاط ، وحدة الملاحظة .

وكل ما نخشاه أن يفقد الطالب ذاته داخل المناهج ، وأن يقسر الظاهرة موضوع البحث لكى تستجيب لمنهج معين ، يفرض سيطرته على الطالب . نحن نطالب الباحث بأن يقرأ لكى ينسى ، أو بعبارة أدق لكى يتناسى ، أو بمعنى آخر : يقرأ الباحث هذه المناهج ، ثم يطرحها وراءه ظهريا ، ويختار المنهج الذى تفرضه الظاهرة .

فكل موضوع يفرض منهجه ، موضوع الأدب العربى فى نيجيريا قد يحتاج إلى منهج تاريخى ، وموضوع القصة المصرية وصورة المجتمع الحديث ، قد تقتضى منهجا اجتماعيا ، ودراسة حول أبى نواس أو ابن الرومى ، قد تتطلب منهجا نفسيا . فقط يشرح الطالب منهجه فى المقدمة ويذكر مبررات هذا المنهج ، وحينئذ لا مساءلة عليه . مادامت المبررات سليمة ، والتطبيق منطقى .

* * *

وحتى لا ننساق مع تعريفات نظرية حول المنهج . نود أن نضع أمام الطالب بعض الملاحظات التى تتعلق بالمنهج ، وهى ملاحظات استخلصتها من تجربتى العملية مع الرسائل الجامعية .

* * *

فبعض الدارسين لا يفيض فى شرح منهجه ، يكتفى بأن منهجه اجتماعى أو تاريخى ، دون أن يشرح ذلك ، ودون أن يتابع انعكاسات شرحه على الرسالة .

فالدكتور فايز القرعان فى رسالته "التقابل والتماثل فى القرآن الكريم" يصرح فى المقدمة بأنه يستخدم المنهج البنائى ، وكان القارئ يود منه أن يفيض فى شرح ذلك المنهج من

خلال موضوع الرسالة ، خاصة وأن الرسالة فى الداخل قد بدت غريبة ، تفيض بالجداول والاحصائيات والأشكال ، والقارئ يود أن يعرف الغرض من تلك الأشكال ، ويعرف مبررات تلك الجداول ، ومن واقع المنهج البنائى .

* * *

وقد يشرح الطالب منهجه فى المقدمة ، ولكن لا تجد صدى لهذا الشرح على فصول الرسالة ، ويتحول حديثه عن المنهج فى المقدمة إلى "سد خانة" وخداع للمشرف والقارئ . لأن رسالته لا تتابع هذا المنهج .

فالطالب سيد سيد عبد الرازق فى رسالته عن "المسرح الشعرى فى شعر فاروق جويدة" يشرح منهجه فى المقدمة ، فيذكر أولا أنه يمازج بين الشكل والمضمون فى رؤية واحدة لا تفصل بينهما ، ويذكر ثانيا أنه لا يفرض مقاييس خارج النص ، بل يترك النص يفرض مقاييسه . وعند التطبيق داخل الرسالة ، نراه يخالف منهجه تماما ، فهو أولا ، وكما يدل فهرست الرسالة ، يعقد فصولا خاصة بالشكل ، وفصولا أخرى خاصة بالمضمون . وهو ثانيا يحدد مقاييس للمسرحية الدرامية ، وأخرى للمسرحية الملحمية ، ثم يحاول أن يطبق ذلك على النص ، بل فى أحيان كثيرة يقسر النص لكى يستجيب لتلك المقاييس الخارجية .

* * *

وقد لا يكون الطالب متفهما لمنهجه ، ويحدث ذلك عادة مع المنهج التاريخى ، ففى حالات كثيرة يذكر الطالب أنه يستخدم المنهج التاريخى فى رسالته ، وتأتى بعيدة عن ذلك المنهج .

إن المنهج التاريخى ليس هو مجرد حشد للمعلومات التاريخية ، أو حتى تفسير الظاهرة الأدبية بالأحداث التاريخية ،إنه بالإضافة إلى كل ذلك ، يتتبع الظاهرة تتبعا تاريخيا، يرصد تطورها من مرحلة إلى مرحلة ، ومن علم إلى علم ، ويتابع حالات نموها وانكسارها ، وكأنه إزاء كائن حى يتابع تاريخ حياته ومراحل تطوره .

ولكن كثيرا من الباحثين يقفون عند الفهم الأولى للمنهج التاريخى ، ولا يتابعونه فى أهم خطواته ، وهو الكشف عن تطور الظاهرة موضوع الدراسة .

والأمثلة على ذلك كثيرة .

الطالب الجزائرى محمد زلاقى فى رسالته "شعر المولديات فى المغرب العربى الإسلامى" يصرح فى المقدمة بأنه يستخدم المنهج التاريخى ، ولكنه فى ثنايا الرسالة لا يتابع تطور هذه الظاهرة من مرحلة إلى مرحلة .

والطالب الأردنى حسن محمد عليان فى رسالته "البطل فى الرواية العربية فى بلاد الشام" يشغل فترة زمنية منذ الحرب العالمية الأولى وحتى عام ٧٣ ، وهى فترة ممتدة ، شهدت أحداثا تاريخية ، وتغيرات اجتماعية ، وأجيالا مختلفة ، ومع ذلك لا نلحظ دراسة تطورية فى تلك الرسالة ، ولا اختلافا بين الأجيال ، وكأن التاريخ خلال تلك الفترة قد تحرك فى خط واحد مستقيم .

والطالب الفلسطينى نظمى محمود بركة يعقد رسالة عن "الاتجاه الرومانسى فى الشعر الفلسطينى" ، ويشغل فى رسالته فترة تمتد منذ الربع الثانى من القرن العشرين وحتى أواخر السبعينيات من هذا القرن ، ومع ذلك لا نلحظ خطا تطوريا خلال تلك الفترة ، وكان الطالب يكتفى بعبارات عامة بأن الشعر قبل النكبة يختلف عنه بعد النكبة ، أو بأن الشعر الفلسطينى كان تقليديا ثم أصبح رومانسيا ، دون أن يفصل وينتقل من مرحلة إلى مرحلة ، ومن خصائص إلى أخرى .

* * *

وقد يستبد المنهج بصاحبه ، فيفقد وظيفته كأداة تعين على الوصول إلى الحقيقة ، ويصبح غاية فى ذاته ، وقد استشرى هذا الاستبداد مع غلبة تيار "البنائية" فى الفترة الأخيرة ، فأصبحت الرسالة لا تستخدم المنهج البنائى لاكتشاف الحقيقة ، بل تحولت إلى استعراض أشكال وجداول . إن رسالة الطالب الأردنى فايز القرعان عن :التقابل والتماثل فى القرآن الكريم" تحولت إلى تقسيمات وتقسيمات التقسيمات ، والمعنى اليسير منها يتحول إلى شكل غامض هيروغليفى ، وينتهى القارئ من الرسالة فلا يحس بموضوع التماثل والتقابل ، ولا يتذوق جمالية القرآن الكريم فى استخدام هذا المحسن البلاغى . ويدرك أن قدماء النقاد والبلاغيين والمفسرين . كانوا أقرب إلى روح القرآن ، وجمالية التعبير ، وطبيعة الأدب . من هذه الزحام الهائل من الأقواس الأشكال والجداول والذى لا يقصد به سوى استعراض القدرة

على استخدام المناهج الحديثة ، بغض النظر عن الغاية التى يهدف إليها ، إن المنهج قد تحول من خادم إلى مخدوم ، ومن أداة إلى هدف فى حد ذاته .

* * *

وقد يفقد الباحث السيطرة على منهجه ، فيميل إلى الخطابة والوعظ والدفاع عن موضوعه بأسلوب حماسى ، وهنا تصاب الرسالة فى الصميم لأنها تفتقد المنهج الجامعى ، الذى يميل إلى التحليل والموضوعية والحياد ، إن الباحث عبد الرحمن عبد الغنى فى رسالته عن "الوسطية فى التشريع الإسلامى" ، يستخدم أسلوبا وعظيا ، ويشرح النصوص شرحا خطابيا ، يتعمد فيه الدفاع عن القدماء ، ويفترض معارك وهمية يدافع فيها عن التشريع ، ويتهم مخالفيه بالغرض وسوء النية .

* * *

والباحث فى الدراسات الأدبية ، حين يستخدم منهجا اجتماعيا ، أو منهجا نفسيا فإنما يستخدمه لخدمة موضوعه الأدبى ، فلا يحشد المعلومات التاريخية أو الاجتماعية أو النفسية دون مبرر ، فقط هو يركز على موضوعه الأدبى ، ولا بأس من أن يفسر بعض جوانبه ، بالرجوع إلى التاريخ أو إلى المعلومات الاجتماعية ، والنفسية .

وكثير من الطلاب ينسون هذه الحقيقة ، وخاصة إذا كانت رسائلهم تضرب بعلاقة ما إلى المجتمع أو التاريخ ، فيتحولون إلى مؤرخين ، أو علماء اجتماع ، أو علماء نفس ، وينسون أنهم فى الدرجة الأولى علماء متخصصون فى دراسة الظواهر الأدبية والنقدية ، وأنهم لا يلجئون إلى المعلومات التاريخية أو الاجتماعية إلا لخدمة هذه الظواهر .

والأمثلة على ذكر كثيرة وشائعة .

الدكتور حسن إسماعيل فى رسالته عن "شخصية هارون الرشيد فى الأدب العباسى" يكشف أبعاد هذه الشخصية فى جوانبها السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والدينية ، وتضيع منه الصورة الأدبية لهذه الشخصية .

والباحث الجزائرى بن دهيبة ، يعقد رسالة عن "المسرح والتغير الاجتماعى فى مصر" ويضيع منه الفرق الدقيق بين عالم الاجتماع وعالم الأدب ، فجاءت الرسالة انتصارا للأول على الأخير ، واكتظت بالمعلومات التاريخية والاجتماعية على حساب الظاهرة الأدبية .

والدكتورة هيام على حماد فى رسالتها عن "المرأة فى ألف ليلة وليلة" تتحدث عن المرأة الشريرة أو الخيرة ، أو الجارية ، أو الحرة ، أى أنها ترصدها كموضوع خارجى ، ودون أن تتابع التوظيف الفنى لهذا الموضوع ، وأن تبحث عن صورة المرأة الأدبية ، فبدت الرسالة أقرب إلى المسح الاجتماعى منها إلى البحث الأدبى .

* * *

وقد يحدث العكس ، فيميل الطالب إلى التعليقات الأدبية أو النقدية على حساب المنهج الجامعى ، الذى يحلل الظاهرة الأدبية ، ويجعل الشرح الأدبى أو النقدى لخدمة استنتاجاته الأخيرة ، ويحدث هذا كثيرا من الطلاب الذين يملكون موهبة إبداعية ، فينسون أنفسهم وينساقون مع التحليلات الأدبية ، أو من الطلاب الذين يعملون فى مهنة التدريس ، فيميلون إلى الشرح المدرسى للظواهر الأدبية ، على حساب التحليل العلمى الذى يهدف إلى خدمة الظاهرة فى حد ذاتها .

والأمثلة على ذلك كثيرة ومتكررة .

فالدكتور محمد عبد الحكم عبد الباقى فى رسالته عن مدرسة الفجر ، يقف عند نتاج كل شخصية من شخصياته ، ويحلله أدبيا ونقديا ، وينسى القضايا النقدية ، التى تربط بين الشخصيات ، والخط التطورى الذى ينتقل خلاله من شخصية إلى أخرى ، فبدت كل شخصية مستقلة بنفسها ، ويقوم الباحث بتحليلها بطريقة نقدية ، تتجاهل القاسم المشترك بين كل الشخصيات .

وشيئا مثل هذا فعله الدكتور ماهر الملاح فى رسالته عن "الظواهر الفنية للقصة القصيرة فى مصر" فقد أخذ يستعرض القصص ، وينثر مضمونها ، بطريقة يغلب عليها الحس النقدى والشرح التعليمى ويغيب عنها فى معظم الحالات روح التنظير والتقعيد .

* * *

تلك هى ملاحظات سبع ، أو قل هى وصايا سبع ، أعيدها أمام الطالب مرة أخرى ، وبأسلوب تعليمى توجيهى ، حتى يحفظها ظهرا عن قلب ، فكثير من الأخطاء المنهجية التى تبديها لجنة المناقشة ، تزول بإذن الله لو حفظ الطالب هذه الوصايا الذهبية السبع : -

١ - اشرح منهجك بالتفصيل فى المقدمة .
٢ - طبق ما شرحته على فصول الرسالة .
٣ - تفهم منهجك جيدا .
٤ - حذار من استبداد المنهج .
٥ - حذار من الخطابية والوعظ .
٦ - حذار من المعلومات التى لا تخدم الموضوع .
٧ - حذار من الشروح الأدبية التى لا تمت إلى الموضوع بصلة .

الشكر

وأخر شيء يكون فى المقدمة هو الشكر ، وينبغى للطالب أن يوجهه لذويه ، كرجل ساعده فى التغلب على بعض الصعاب ، التى لا قاها وهو يعد رسالته ، أو رجل ساعده فى حل مشكلة علمية ، أو فى الوصول إلى مخطوطات نادرة ، وغير ذلك مما يمت إلى الجانب العلمى فى الرسالة .

وليس حتما أن يشكرالطالب رجلا قد عرفه ، فمن الجائز أن يشكر شخصا قد توفى أو لم يلتق به على الإطلاق ، ولكن الباحث قد أفاد من إنجازاته العلمية فى هذا المجال ، فقد يكون رائدا فى ميدانه ، أو أوحى إليه ببعض الأفكار ، أو أفاده فى اختيار الموضوع .

ولكن الشكر فى بعض رسائلنا الجامعية ، لم يعد يراعى هذه الجوانب ، بل أخذ يصدر عن حاجة نفعية ، كأن يوجه إلى المشرف ، أو إلى لجنة المناقشة ، أو إلى أمين مكتبة ، أو إلى صاحب مطبعة .

إن مثل هذا الشكر لا يصدر عن غرض علمى ، فالمشرف يقوم بواجبه العلمى ، ولا ينتظر جزاء ولا شكورا .

ولجنة المناقشة هى لجنة تحكيم ، وشكرها فى مثل هذه الحالة هو نوع من النفاق ، ينبغى أن تبرأ منه الصلات العلمية ، أما أمين المكتبة أو صاحب المطبعة أو غيرهما ، فهم يؤدون واجبهم الوظيفى أو التجارى .

تمهيد الرسالة

الموضوعات التى تذكر فى المقدمة ، غير الموضوعات التى تذكر فى التمهيد ، وغير الموضوعات التى تذكر فى الخاتمة ، ومن هنا وجب التفريق بين هذه المصطلحات الثلاثة : -

١ - المقدمة .
٢ - التمهيد .
٣ - الخاتمة .

فالمقدمة هى التى تقدم الرسالة ، بمعنى أن تتحدث عن موضوعها ، ومصادرها ومنهجها ، وغير ذلك مما سبق أن ذكرناه .

والتمهيد هو الذى يمهد للرسالة ، فهو ليس من صلب الرسالة ، وإنما يتناول موضوعات تلقى الضوء على الرسالة .

- أما الخاتمة فهى تستنتج فى النهاية أهم المعالم التى توصلت إليها الرسالة .

وكثير من الطلاب يخلطون بين هذه المصطلحات ، ونضرب مثلا على ذلك رسالة الطالب الفلسطينى يوسف إبراهيم الصواف تحت عنوان "الفخر فى الشعر الجاهلى" ، فقد تحدث فى المقدمة عن العلاقة بين الفخر والرثاء والمدح ، وتحدث فى الخاتمة عن الفتوة والصعاليك فى العصر الجاهلى ، وحديثه هذا سواء فى المقدمة أو الخاتمة ، إنما يصلح كتمهيد ، فهو ليس تقديما للرسالة حتى نذكره فى المقدمة ، وليس استنتاجا لأهم معالمها حتى نذكره فى الخاتمة ، وإنما هو شىء يضىء الرسالة ، وليس من صلبها ، فكان الواجب ، إن أراد ، أن يفرد له قسما من الرسالة تحت عنوان "التمهيد" .

وكانت الرسائل الجامعية فى بداية التعليم الجامعى فى مصر ، تميل إلى التمهيدات المطولة ، فإذا ما درسوا شاعراً تحدثوا عن صورة العصر السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وإذا ما درسوا الأدب النسائى تحدثوا عن قضية الحرية وتاريخ الحركة النسائية ، وإذا ما درسوا الشعر الفلسطينى تحدثوا عن القضية الفلسطينية والتدخل الاستعمارى والحركة الصهيونية .

ولا تزال اثارة من ذلك نجدها فى بعض الرسائل الجامعية المعاصرة ، التى تورد التمهيدات المطولة ، والتى يمكن الاستغناء عنها : -

فرسالة الدكتورة هيام على حماد عن صورة المرأة فى ألف ليلة وليلة ، تورد تمهيدا مطولا عن مكانة المرأة فى الحضارات السابقة ، وهو تمهيد عام يمكن الاستغناء عنه .

وأيضا الباحث الجزائرى فى رسالته عن شعر المولديات فى المغرب العربى الإسلامى ، يورد تمهيدا مطولا عن الظروف العامة لدول المغرب العربى ، من حيث الموقع والسكان ، والظروف السياسية ، والوضعية الثقافية ، وهو تمهيد تاريخى طويل ، يمكن الاستغناء عنه بالإشارة إلى المصادر التاريخية والجغرافية ، التى تغطى هذه الظروف بصورة أكثر تفصيلا .

وخطورة التمهيدات المطولة أنه قد يصرف النظر عن صلب الرسالة وقضاياها الرئيسية ، ويستهلك كثيرا من جهد الباحث الذى يحتاجه لمعالجة صلب الرسالة .

ومن هنا أرى الاستغناء عن التمهيد فى الرسالة ، فهو ليس أساسا من صلبها ، وإنما هو يضىء جوانبها ، ويمكن للباحث فى ثنايا الرسالة إن احتاج إلى إلقاء الضوء على بعض النقاط من الناحية التاريخية أو الاجتماعية أو الثقافية ، أن يذكر ذلك فى الهامش ، أو يحيل إلى بعض المصادر التى تفيد فى هذا الجانب .

على أن المسألة ليست قاطعة مانعة ، فقد تأتى بعض التمهيدات المبررة ، والتى تقتضيها طبيعة الرسالة ، ونضرب على ذلك ثلاثة أمثلة من الرسائل التى ورد ذكرها فى الجانب التطبيقى .

فالدكتور محمد نجيب التلاوى – كمثال أول – فى رسالته عن الأدب العربى فى نيجيريا ، يورد أمام كل باب تمهيدا تاريخيا ، ولكنه موجز من ناحية ، ومبرر من الناحية الأخرى ، لأن القارئ لا يعرف كثيرا عن تلك البلاد ، التى لا نوليها الكثير من الاهتمام .

والدكتور محمد عبد الحكم عبد الباقى – كمثال ثان – فى رسالته عن مدرسة الفجر ، يورد أمام كل باب تمهيداً ، من صفحة أو صفحتين ، ويرتبط كثيرا بموضوع الباب .

والدكتور صفوت عبد الله الخطيب – كمثال ثالث – فى رسالته عن حازم القرطاجنى ، يورد تمهيدا من ثلاث نقاط ، شديد الصلة بموضوع الرسالة ، ولو أن الباحث قد وضعه فى صلب الرسالة وكواحد من أبوابها ، لما أساء إلى تبويب الرسالة .

فالتمهيد إذن ليس ضروريا ، فى الرسالة ، ومن هنا قلت أول هذا الكلام" وقد يكون فيها تمهيد" وتقدير أهميته متروك فى النهاية للحوار بين المشرف والطالب .

صلب الرسالة

صلب الرسالة يعنى الأبواب والفصول التى تدور حولها أبواب الرسالة . أو بعبارة أخرى أشد اختصارا : هى الخطة التى يعبر عنها الفهرست فى نهاية الرسالة .

وهنا نجد أنفسنا ازاء مصطلحات ، تحتاج إلى تفصيل وتفريق ، وهى : -

١ - الموضوع .
٢ - العنوان .
٣ - الخطة .
٤ - الفهرست .
٥ - المنهج .
٦ - الأسلوب .

* * *

فالموضوع هو ما تدور حوله الرسالة ، كأن تكون عن القصة القصيرة مثلا .

أما العنوان فهو بلورة دقيقة ومحددة للموضوع فيمكن أن تعنون للموضوع السابق مثلا فنقول "الخصائص الفنية للقصة القصيرة فى مصر فى فترة الستينيات" ، فالموضوع عام والعنوان خاص ، ويمكن أن نقول بلغة الأكاديميين . إن الموضوع يمثل التخصص العام ، أما العنوان فهو يمثل التخصص الدقيق .

وقد تحدثنا كثيرا عن الموضوع عند الحديث عن مقدمة الرسالة ، ويمكن هنا أن نضيف إلى ما سبق أمرين :

الأول : أن يكون الموضوع مناسبا ، يستطيع الطالب أن يسيطر عليه ، وأن ينجز من خلاله رسالته .

فقد يكون الموضوع ضيقا ، يصلح لمقالة أو لكتاب صغير ، ولكنه لا يصلح أن يكون رسالة ، إلا إذا مال صاحبه إلى التطويل والاستطراد .

إن موضوعا مثل "أثر التصور الإسلامى على الغزل العذرى" قد يصلح لكتاب صغير ، أو لفصل فى رسالة عن الغزل العذرى بوجه عام ، ولكنه قد لا يصلح وحده لأداء رسالة ، ومن هنا

نرى صاحبه يكثر من التمهيدات والاستطرادات ، التى تتحدث عن مكانة المرأة فى الإسلام بالمقارنة مع الحضارات الأخرى .

وقد يكون الموضوع واسعا يغطى جوانب كثيرة ، فتأتى الاستنتاجات عامة غير محددة ، إن موضوعا مثل "الأمالى الأدبية" يعنى المحاضرات الثقافية التى تلقى عن طريق الاملاء ، أشبه بما نسميه اليوم بالمحاضرات الجامعية ، وإن موضوعا آخر عن شعر الحياة العامة فى العصر العباسى ، يعنى الحياة السياسية والاجتماعية وغير ذلك مما يدخل فى الظواهر الحضارية فى ذلك العصر ، وكل هذا فى النهاية يجعل الموضوع واسعا ، والقضايا غير محددة ، والاستنتاجات عامة .

وقد يحتاج الموضوع إلى فريق من الباحثين ، كأن يدور حول موضوع حضارى ، أو تصور للمصطلحات الأدبية ، أو ظواهر إنسانية عامة ، تحتاج إلى مقارنة .

ويحدث كثيرا لطلاب السنة التمهيدية للماجستير أنهم يقترحون موضوعات كبيرة ، لا يستطيع الفرد الواحد أن يقوم بها ، إن العناوين هنا تغريهم ، دون أن يدركوا حقيقة الأمر وأنها تحتاج إلى زمن طويل وإلى فريق من الباحثين .

الثانى : أن يكون الموضوع جديدا ، فالموضوعات المستهلكة لا تمكن الطالب من أن يضيف جديدا ، إلى حقل الدراسات الجامعية .

إن موضوعات مثل : -

١ - غزل امرئ القيس .
٢ - النقائض .
٣ - زهد أبى العتاهية .
٤ - خمريات أبى نواس .
٥ - هجاء الحطيئة .
٦ - الغزل العذرى فى العصر الأموى .
٧ - حكمة المتنبى .
٨ - البديع فى العصر المملوكى .

٩ – رثاء البارودى .
١٠ – وطنية شوقى .
١١ – المقارنة بين شوقى وحافظ .

إن موضوعات كهذه قد قتلت بحثا ، وأ سبحت مدرسية ، يعرف عنها حتى التلميذ فى المدارس العامة الكثير ، ومن هنا فإن اتخاذها كموضوعات لرسائل جامعية ، لا يمكن الباحث من أن يضيف جديدا .

* * *

هذا عن الموضوع ، أما عن العنوان فكل ما نستطيع أن نقوله الآن : إن العناوين ، سواء كانت عناوين الرسالة ، أو عناوين الأبواب ، أو عناوين الفصول ، أو حتى العناوين الجانبية ، يشترط فيها أمران : –

الأول : – أن تكون محددة ، ويعرف الباحث ما تعنيه بالضبط ، فلا يصح مثلا أن يكون العنوان عن "الحب العذرى" أو عن "القصة العربية" أو عن "الشعر الحديث" أو عن "الأدب الأندلسى" أو غير ذلك من عناوين عامة ، دون التركيز على زاوية محددة .

الثانى : – أن تكون العناوين موضوعية لا توحى بموقف الباحث ، إن العناوين فى رسالة الدكتور على حسن عن "أثر فنون البديع فى الشعر المملوكى" ، يتوالى بعضها كالآتى : –

حتمية شيوع البديع فى العصر المملوكى – حتمية فرضتها مظاهر الحياة المادية – حتمية فرضها جماليات الفنون الأخرى غير الشعر .

إن استخدام كلمة "حتمية" فى تلك العناوين ، توحى بالموقف القاطع اليقينى مع أن الباحث يجب أن يقدم قضاياه فى عبارات حذرة وظنية ، وتفترض أنه قد يكون هناك رأى آخر ، فلا حتمية فى الدراسات الأدبية .

* * *

والخطة هى الأبواب والفصول وسائر التقسيمات التى تحدد موضوع الرسالة ، وهى تبدأ بصورة مبدئية ، قابلة للتعديل ، وللحوار بين الطالب والمشرف ، حتى تستقر فى صورتها

النهائية ، والتى يعبر عنها الفهرست فى نهاية الرسالة .

فالفهرست إذن يمثل الصورة النهائية للخطة ، التى ارتضاها المشرف ، وقام الباحث من خلالها بمعالجة موضوع رسالته .

والخطة – انطلاقا من هذا التعريف – تختلف عن المنهج ، فهى تقسيم الرسالة إلى أبواب وفصول ، سواء كانت الرسالة تتخذ منهجا اجتماعيا أو نفسيا أو غير ذلك .

أما المنهج فهو الزاوية التى اختارها الباحث لمعالجة موضوعه ، والمتمثل بصورة علمية فى الخطة . أو بعبارة أخرى : المنهج هو طريقة معالجة الموضوع ، أما الخطة فهى طريقة تقسيم الموضوع . وليس من السهل أن نتحدث عن صورة قاطعة ومحددة للخطة ، فالموضوع هو الذى يحدد خطته . فقد يجد الباحث نفسه مضطرا إلى تقسيم الرسالة إلى أبواب وفصول ، وقد لا يجد فى الرسالة محاور رئيسية تصلح كأبواب كبيرة ، فيكتفى بأن تتوالى الرسالة على هيئة فصول دون أبواب وكل فصل يلى الآخر .

وقد تحتاج الرسالة إلى تمهيد عام فى أولها ، أو إلى تمهيد قصير أمام كل باب أو فصل ، فأمر ذلك كله متروك فى النهاية لتقدير الطالب لموضوعه .

وحين أقول "إن كل فصل يلى الآخر" فى خطة الرسالة ، فلا يعنى هذا أن الفصول يجب أن تتوالى بعضها وراء البعض ، بحسب الضرورة أو الاحتمال ، فلسنا هنا إزاء عمل إبداعى ، قصيدة أو رواية أو مسرحا ، تتحقق فيه الوحدة العضوية ، وتتوالى فيه الأحداث بحسب الضرورة أو الاحتمال ، نحن هنا إزاء رسالة علمية ، يمكن أن تتراص فصولها واحدا دون الآخر ، دون أن يؤدى الأول إلى ما يليه ضرورة أو احتمالا .

فقط موضوع الرسالة يمثل هدفا للخطة ينبغى ألا تخرج عنه ، فلو جاء فصل أو جزء من فصل بعيدا عن الهدف الرئيسى ، وعلى هيئة استطرادات ، فإن هذا يمثل انفلات الخطة من الباحث ، مهما كانت قيمة هذا الاستطراد من الناحية العلمية .

إن الفصل الذى عقده الباحث بن دهيبة تحت عنوان "البحث عن مسرح مصرى عربى" ، هو فى حد ذاته بحث يتميز بالخصوصية والأكاديمية ، ولكنه يفلت من سيطرة الخطة ، فهو لا يخضع للهدف الرئيسى لرسالته "المسرح والتغيير الاجتماعى فى مصر" ، ولم يستطع الباحث

أن يربط مضمون هذا الفصل بالتغييرات الاجتماعية فى مصر .

وشىء مثل هذا يمكن أن نقوله عن سوسن ناجى فى رسالتها عن "الروائية المصرية وصورة المرأة" فقد جاء الباب الثالث تحت عنوان "الملامح الفنية فى الروايات النسائية" ، وهو باب يعالج السمات الفنية للرواية النسائية بوجه عام ، دون تركيز على الزاوية الخاصة للرسالة ، وهى صورة المرأة داخل العمل الروائى ، فتمرد هذا الباب على الهدف الرئيسى والخاص للرسالة ، والذى يفصح عنه عنوانها .

قلت آنفا : يكفى فى الرسالة الجامعية أن تتراص فصولها دون أن تخضع لترتيب حتمى أو ظنى ، وأضيف هنا الآن : إن هذا يمثل الحد الأدنى من المطلوب ، ويبقى الحد الأفضل متمثلا فى قدرة الباحث على أن تخضع فصوله لنوع من الترتيب ، الذى يقترب بالرسالة الى العمل الإبداعى ، إن هذا المستوى الأفضل يدل على سيطرة الباحث على رسالته ، وتوجيه خطتها لخدمة الهدف الرئيسى .

ونستطيع أن نضرب مثلا على ذلك من رسالة منير فوزى عن أمل دنقل ، فقد توالت أبواب هذه الرسالة طبقا لترتيب فنى ، يحيل الرسالة إلى وحدة أشبه بالعمل الفنى ، فقد تحدث الباحث عن المصادر فى باب ، ثم تحدث عن هذه المصادر خلال أهم القضايا التى اعتنى بها أمل دنقل فى باب ثان ، ثم تحدث عن توظيف هذه المصادر فى باب ثالث ، وأيضا من خلال أهم القضايا التى اعتنى بها أمل دنقل ، وهكذا بدت الرسالة متلاحمة ، وكل باب فى موضعه ، وجميع الأبواب توجه لخدمة الهدف الرئيسى فى خطة الباحث .

وقد حرصت فى الجانب التطبيقى من هذا الكتاب ، أن أقدم فهارس لرسائل ناقشتها أو أشرفت عليها ، لتكون مثلا على الصورة النهائية لخطة الرسالة ، التى اختارها الباحث وارتضاها المشرف .

ثم تأتى دراستى للرسالة سابقة للفهرست ، ولتكون تعليقا على تلك الخطة الممثلة فى الفهرست .

وهذا التعليق قد يتقبل الخطة ، وقد يعدلها ، وقد يرفضها ، ولكنه على أية حال يدل على أن الخطة مهما كانت ، إنما هو دعوة مفتوحة للمناقشة ، وأن الفهرست يمثل فقط الصورة

النهائية للخطة ، التى اتفق عليها الطالب والمشرف ، وأن هذه الصورة الأخيرة قابلة للتعليق من الآخرين .

وتلك هى وظيفة لجنة المناقشة ، والتى تتمثل فى الحوار حول الخطة الممثلة فى الفهرست ، حتى يمكن الوصول إلى اقتراح أفضل ، فالخطة دائما هى دعوة مفتوحة ، وكلما كانت عقلية المجتمع متحركة ، كانت الخطة دائما فى تعديل مستمر .

* * *

أما الإسلوب فهو اللغة التى تؤدى بها الرسالة ، وتنقل أفكار الباحث إلى ذهن القارئ ، ويجب أن تتحقق فيها أمور منها : -

١ - الموضوعية .
٢ - الأكاديمية .
٣ - الصحة اللغوية .

* * *

فالموضوعية تعنى الحيادية التى يتصف بها طالب العلم ، فيقبل على موضوعه دون حكم مسبق ، ويدع الأدلة هى التى تسوقه إلى النتائج بلغة حذرة ، تستخدم تعبيرات مثل : أظن - أرى - فيما يخيل لى .

ويتجنب التعبيرات القاطعة الجازمة ، ولا تبدو على لغته سمة الانفعالية والانحياز التى تبتعد عن المنطق والتحليل .

ومن الأخطاء الشائعة التى يقع فيها الطالب ، والتى تتنافى مع صفة الموضوعية : -

١ - أن يتعاطف الطالب مع موضوعه ، ويخيل إليه أنه موكل بالدفاع عنه وتبرير مواقفه ، خاصة إذا كانت الشخصية شهيرة ، أو لها تأثير على الطالب ، أو يتفق معه فى بعض آرائه .

الدكتور حسن اسماعيل مثلا فى رسالته عن هارون الرشيد يدافع عنه ، ويبرر حتى تصرفاته الماجنة ، ويجعلها قلقا وبحثا عن الحقيقة .

والباحث عبد المنعم عبد الحليم فى رسالته عن الجاحظ ، يدافع عنه ويرى أنه سبق الكثير من المفكرين المعاصرين .

والدكتور عبد الرحمن عبد الغنى ، يدافع بطريقة سافرة عن الوسطية فى التشريع الإسلامى .

والدكتور على حسن يدافع عن العصر المملوكى ، وبلغة محام لا يهمه إلا الدفاع عن المتهم وتبرير سلوكه .

ولو رحنا نستقصى الرسائل التى تتعاطف مع موضوعها ، لوجدنا الكثير ، لأن هذه السمة متغلغلة ، خاصة فى المجتمعات التى لم تكتسب بعد التقاليد الجامعية ، ولم تتدرب على الحيادية فى موقفها .

٢ – استخدام الوصف المباشر ، فيقول مثلا هذا شاعر عظيم ، وهذا أديب متمكن ، وتلك قصيدة رائعة ، وهذه لغة جزلة .

وقد تكون هذه الصفات فى حد ذاتها حقيقية ، ولكن لا يصح التعبير عن هذه الحقائق بالأوصاف المباشرة . كما كان يقول القدماء : هذا أغزل بيت ، وأمدح بيت . ولكن المطلوب من الرسائل الجامعية أن تقدم الحقائق ، وأن تشرح من واقع النصوص عظمة هذا الشاعر ، أو جزالة تلك اللغة ، ثم تدع القارئ بعد ذلك يحكم فيما إذا كان هذا الشاعر حقا عظيما ، وفيما إذا كانت هذه اللغة حقا جزلة .

* * *

والأكاديمية هى المنهج الجامعى الذى يجب أن يتحقق فى كل رسالة ، فهى شرط أولى فى كل بحث جامعى ، سواء اختار الباحث رؤية اجتماعية أو نفسية أو غير ذلك ، ومن هنا فالأكاديمية ، أو ما نسميه بالمنهجية الجامعية ، تختلف عن المنهج الذى سبق أن شرحناه ، عند حديثنا عن مقدمة الرسالة ، لأن الأكاديمية هى أوليات البحث الجامعى التى يجب أن يلتزم بها كل طالب وفى كل رسالة .

أما المنهج فهى الزاوية التى يعالج الباحث خلالها موضوعه وبطريقة أكاديمية .

ومن أهم سمات الأكاديمية : -

١ - استقراء المصادر بقدر الإمكان ، فلا يجوز الاقتصار على بعضها دون بعض ، وإلا كانت النتائج قاصرة وظنية .

أما أنها قاصرة فهى تصدق فقط على المصادر التى راجعها ، ولا يمكن الزعم بأن النتائج حينئذ يمكن أن تنسحب على المصادر المتروكة .

أما أنها ظنية ، فلأن المصادر المتروكة قد توحى بنتائج تختلف عن ذلك ، أو تشكك فى النتائج ، ومن هنا لا يمكن الزعم أيضا بأن تلك النتائج قطعية الدلالة .

٢ - الاعتماد على المصادر الأصلية ، وهى المصادر التى يستقى الباحث منها الدليل على استنتاجاته .

٣ - العودة إلى المصادر الأصلية يجب أن تكون مباشرة ، فلا يجوز النقل من مرجع وسيط ، وهو المرجع الذى ينقل من المرجع الأصلى .

٤ - ولا يجوز الاعتماد على المراجع الصحفية ، والندوات الإعلامية ، وأجهزة الإذاعة والتليفزيون إلا إذا كان تلك الأجهزة هى موضوع للرسالة ، فإنها حينئذ تصبح مصادر أصلية لتوثيق مادة البحث .

٥ - إيراد القضية والدليل عليها ، وهو ما يسمونه بالاستشهاد عن طريق الاقتباس من المصادر الأصلية .

والاستشهاد يجب ألا يكون مبتسرا ، لا يفى بالغرض . أو يصلح لجزء من القضية دون الجزء الآخر ، ويجب ألا يكون طويلا ، يصرف القارئ عن الغرض الأساسى ، ويحول الباحث إلى مجرد ناقل .

والاقتباس سلاح ذو حدين ، فهو من ناحية أمر ضرورى كدليل على القضية ، وبدونه تصبح القضية افتراضا يحتاج إلى دليل .

وهو فى الوقت نفسه قد يكثر أو يطول ، ويدل على ضعف شخصية الباحث ، لأنه فى هذه الحالة يتحول إلى مجرد وعاء ، يحتفظ بآراء الآخرين ، دون أن يحلله ويخرج منها بأفكاره الخاصة .

٦ – ويجب على الباحث ألا يلوى عنق النص ليخدم غرضه ، بأن يحاول أن يتصرف فيه ، أو يجزئه أو يقتطعه من السياق .

إن الباحث فى تلك الحالة يصدر عن فكر مسبق ، إنه لا يصافح النصوص كما هى ، لكى يستنتج منها ما تعطيه ، ولكنه يعتقد حالة ويحاول أن يطوع النصوص لكى تستجيب لتلك الحالة .

٧ – يجب أن يخلو الأسلوب من الترادف والتكرار ، وغير ذلك من ثروة لغوية لا يصحبها محصول فكرى ، تجعل صاحبها يورد الفكرة الواحدة بعبارات كثيرة .

وكلما سلك الباحث أقصر الطرق إلى هدفه ، كان أقرب إلى المنهج الجامعى .

٨ – ويجب أن يحذر الطالب الأساليب الإنشائية ، التى تصرفه بعيدا عن الغرض الأصلى ، وتشغل القارئ بزخرفة بيانية ، وقد توقعه فى مواقف انفعالية عاطفية ، لا تتناسب مع التحليل العلمى الدقيق .

٩ – ويجب على الباحث أن يحدد كلماته تحديدا دقيقا ، حتى لا يقع فى العمومية ، ويفشل فى نقل أفكاره بطريقة دقيقة .

وإذا كان هذا ضروريا مع كلمات البحث ، فإنه أكثر ضرورة مع المصطلحات التى ترد فى الرسالة ، سواء كانت مصطلحات للباحث نفسه ، أو مصطلحات للشخصية أو للقضية التى يدرسها .

كلمة خيال "مثلا تعنى معنى فى ذهن الباحث ، غير معنى الذى يريده حازم القرطاجنى .

وكلمة "قصة" تعنى فى ذهن الباحث معنى غير الذى كان يريده الجاحظ فى كتبه .

وكل هذا يحتاج إلى تحديد ، سواء فى مقدمة الرسالة ، أو أمام كل فصل من فصول الرسالة .

ويجب أن يحذر الطالب كثيرا ، وهو يتعامل مع المصطلحات الأجنبية ، فهذه المصطلحات إنما هى ابنة بيئتها ، وتشير إلى واقع مختلف ، وكثير من الطلاب قد يترجمها حرفيا ، فتفتقد الكثير من دقتها ومدلولها ، وكثير من الطلاب يحاولون أن يطبقوها على واقع مختلف ، فتصبح

غريبة وتحاول أن تقسر الواقع على غير حقيقته ، وتفتقد بذلك الموضوعية .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، وخاصة من الطلاب الذين يدرسون الأدب الحديث ، ويضطرون إلى التعامل مع المصطلحات الأجنبية ، ويسيئون استخدامها ، ونضرب مثلا واحدا من الدكتور شوقى المعاملى فى رسالته عن الترجمة الذاتية ، فقد ترجم مصطلح Curriculum Vital إلى المنهج الحيوى ، وهى ترجمة حرفية لا معنى لها ، مع أن هذا المصطلح أقرب إلى ما يسمونه بالسيرة العلمية ، أو بيان الحالة .

وتحديد المصطلحات الخاصة هو خطوة أولى ، يجب أن تتبعها خطوة ثانية . وهو الالتزام بهذا التحديد طيلة الرسالة .

فلا يكفى أن يحدد مصطلحاته فى مقدمة الرسالة ، حتى يستكمل الوجه العلمى الدقيق ، ثم نراه بعد ذلك يخالف هذا المصطلح ، أو يستخدمه فى أكثر من مدلول مما يفقده خصوصيته .

الدكتور شوقى المعاملى مثلا فى رسالته عن الترجمة الذاتية فى الأدب العربى الحديث ، يحدد أولا مصطلح "الترجمة الذاتية" تحديدا دقيقا يتناسب مع معنى هذا المصطلح فى العصر الحديث ويرجع فى هذا التحديد إلى مصادر أصلية ، ولكنه لم يخلص لهذا التحديد طيلة الرسالة ، فاستخدمه فى المذكرات السياسية والاجتماعية ، وفى كتب التاريخ ، وفى تقارير السفراء والمرضى والأطباء ، وفى الرواية والكتابة الأدبية ، حتى فى السيرة العلمية وبيان الحالة ففقد المصطلح بذلك خصوصيته ، كمصطلح خاص ، يشير إلى جنس أدبى خاص ، له سماته الفنية ، وتحول إلى كلمة عامة ، يمكن أن يحشر تحتها كل شىء .

* * *

بقى الحديث عن آخر شىء فى الإسلوب ، وهو الصحة اللغوية . اللغة هى الأداة التى يستخدمها الباحث ، ومن المنطقى أن يجيد الباحث أداته ، حتى يستطيع أن يوصل ما يريده ، فالصحة اللغوية هى شرط أساسى وأولى ، وبدونه لا تتم عملية البحث .

والصحة اللغوية تعنى إتقان النحو والصرف والإملاء وأوزان البحور وحروف القافية ومراجعة القواميس ، بالإضافة إلى التراكيب الأسلوبية التى يجب أن تخضع لروح اللغة ، فلا

يحشر تراكيب عليها مسحة اللهجات المحلية ، أو مسحة لغة أجنبية ، فى رسالة مكتوبة باللغة العربية الفصحى ، ويحدث ذلك كثيرا من الطلاب الذين وقعوا تحت سيطرة الاستعمار ، وفرض لغته كلغة أولى فنجد كثيرا من تراكيب اللغة الأجنبية ، تتسرب إلى اللغة العربية الفصحى ، وتسىء إلى صحتها اللغوية .

وهناك شىء يتجاهله كثير من الطلاب مع أهميته ، وهو علامات الترقيم . فعلامات الترقيم ليست شيئا خارج العبارة ، بل هى من صميم العبارة وتفيد معنى ، فصحتها تندرج تحت الصحة اللغوية المطلوبة .

إن تجاهل علامات الترقيم يسىء إلى دلالة العبارة ، ويفقد اللغة معناها .

فمثلا تجاهل أداة الاستفهام يعنى تجاهل معنى الاستفهام ، ويحيل الجملة إلى جملة خبرية تقريرية . وتجاهل علامتى التنصيص يؤدى إلى تداخل العبارات ، فلا تعرف عبارة الباحث من عبارة الاستشهاد ، وتجاهل الفصلة يجعل الجملة تتداخل ، وتجاهل النقطة يجعل الفقرات تتداخل ، وكل هذا لا يؤدى إلى السيطرة على المعنى وتوجيه الدلالة .

وقد يعتذر الطالب أثناء المناقشة بأن أخطاء الرسالة إنما هى أخطاء مطبعية ، تقع مسئوليتها على الناسخ ، وهو اعتذار يحسب على الطالب ولا يحسب له ، فلجنة المناقشة لا تسائل الناسخ ، ولا تمنح الرسالة لصاحب المطبعة ، وإنما هى تناقش النسخة الأخيرة ، التى اقتنع بها الباحث ، وقدمها للجنة ، وينتظر تقريرها حول تلك النسخة ، فهو مسئول عن كل ما فيها ، والاعتذار بالناسخ أو المطبعة ، يعنى جهل الباحث بالصحة اللغوية ، أو يعنى تراخيه لأنه لم يراجع النسخة قبل تقديمها للجنة المناقشة ، وكل من الجهل أو التراخى لا يليق من باحث يهدف إلى نيل رسالة جامعية .

خاتمة الرسالة

تدور خاتمة الرسالة غالبا حول أربعة محاور : –

١ – أهم نقاط البحث .

٢ – الجديد فى الرسالة .

٣ – المقترحـــات .

٤ – المســـــتقبل .

أهم نقاط البحث

تأتى الخاتمة عادة بعد أن يكون القارئ قد انتهى من قراءة البحث ، وحينئذ يحتاج إلى أن يلم بخيوط البحث ، وأن يستذكر بعض المعالم الرئيسية ، فينبغى على الباحث أن يساعده فى ذلك ، بأن يقدم له بعض المعالم الرئيسية للبحث التى يحتاج أن يستذكرها القارئ .

إن هناك فرقا بين أن تتحدث عن نقاط البحث فى مقدمة الرسالة ، وأن تتحدث عن نقاط البحث فى خاتمة الرسالة .

إن نقاط البحث فى مقدمة الرسالة تقدمها لشخص ، ليس لديه أية فكرة عن الرسالة ، فتريد أن تعطيه انطباعاً عنها ، يساعده على السير فيها .

أما نقاط البحث فى الخاتمة فإنك تقدمها لقارئ قد استكمل فكرة الرسالة ، ولكنه يحتاج إلى بعض المعالم الرئيسية لكى يستحضر صورة الرسالة فى ذهنه .

إنك تستطيع أن تبين هذا الفرق عمليا لو رجعت إلى مقدمة وخاتمة "القصة المصرية وصورة المجتمع الحديث" إننى فى مقدمة هذا الكتاب ، وجدت نفسى أستعرض الأبواب الرئيسية للرسالة ، وموضوع كل باب حتى أستطيع أن أضع أمام القارئ صورة ولو مجملة عن البحث قبل أن يدلف إليه .

أما فى الخاتمة فقد وجدت نفسى لا أستعرض فصول الرسالة وأبوابها ، ولكنى مطالب بإبراز النقاط الرئيسية ، وموقفى من تلك النقاط .

الجديد فى الرسالة

ذكرنا عند الحديث عن مقدمة الرسالة ، أن الباحث يجب أن يشير إلى موقع دراسته بين الدراسات السابقة ، ونضيف هنا أنه لا ينبغى أن يفيض فى ذلك فى المقدمة ، يكفى مجرد الإشارة ، ويترك تفصيل ذلك إلى الخاتمة ، فهو مطالب بأن يتحدث فى الخاتمة عن الجديد فى رسالته ، وأن يفصل فى ذلك .

وليس عيبا أن يتحدث الطالب فى خاتمة رسالته عن الجديد ، فالتواضع فى مثل هذه الحالات فى غير محله ، ويدل على فقد ان الثقة بالنفس ، والطالب الذكى يعرف متى يكون التواضع عيبا ، ومتى يكون فضيلة .

إن الحديث عن الجديد هنا مطلب علمى ، حتى تعرف أجيال الباحثين ، النقطة التى أضافها الباحث ، والنقطة التى لم يضفها ، فيقوموا رسالته ورسائل من سبقوه ، وربما يكتشفون جوانب أخرى ، ويحاولون أن يضيفوها إلى مسيرة البحث العلمى المستمرة .

ولكن العيب كل العيب ان يتحدث الباحث عن إضافته بنبرة افتخار ، وبلغة تتنافى مع التواضع العلمى المطلوب ، أو يبالغ فى عطاء رسالته ، أو ينسب إلى نفسه ما ليس هو له .

وأشد من ذلك عيبا أن يذكر الطالب أن رسالته جديدة ، لم يطرقها أحد قبله ، ولكن عند التحليل العلمى نكتشف أنها ليست جديدة ، وأنها امتداد لكثير من الدراسات السابقة .

فالباحث الجزائرى بن دهيبة بن نكاع ، فى رسالته عن "المسرح والتغيير الاجتماعى فى مصر" ، يذكر فى مقدمة الرسالة (وليس فى الخاتمة) ، إن رسالته جديدة لم يسبقه إليها أحد ، ولكن عند تحليل الرسالة ، نكتشف أنها لا تقف عند زاوية "العلاقة بين المسرح والمجتمع" ، وأن الباحث يعالج قضايا المسرح المصرى بوجه عام ، وأن عنوان رسالته يمكن أن يصبح "قضايا المسرح المصرى" أو "حركة المسرح المصرى" وبهذا التحليل ترتد دراسته إلى كثير من الدراسات التى سبقته حول المسرح المصرى .

* * *

والتدقيق فى اختيار موضوع الرسالة منذ البداية يمكن أن يساعد الطالب على الوصول

إلى نتائج جديدة .

ونشير فيما يلى إلى سمات الموضوع المناسب ، والتى تساعد الباحث على الوصول إلى الجديد .

١ – أن يكون الموضوع جديدا ، لم يطرقه أحد من قبل ، فإن كل النتائج حينئذ ستكون جديدة . أما إذا كان الموضوع مطروقا ، فمن الصعب أن يجد الباحث شيئا يضيفه إلى مسيرة الباحثين قبله .

وإذا اردنا أن نطبق ذلك من واقع (قصص العشاق النثرية فى العصر الأموى) فإن اختيار هذا الموضوع أعطى فرصة للدارس لكى يكتشف الجديد ، فالموضوع لم يطرقه باحث من قبل ، وكل الدراسات السابقة كانت تنصب حول الشعر الغزلى فى العصر الأموى وبنوع خاص الشعر العذرى منه ، ولم يلتفت أحد إلى أن هناك نوعا من القصص النثرى يدور حول العشاق العرب ، وذلك من منطلق أن العرب لم يعرفوا التراث القصصى ، ومن هنا فإن الباحث قد تجرأ وقال فى نهاية خاتمه ما نصه :

"واذا كان من تقليد الدراسات الجامعية أن يتحدث باحث عما فيها من جديد ، فإننى أزعم أننى حاولت أن أحدد ملامح فن انتشر بين الشعب فى ذلك العصر ، وكانت له دواعيه وأسبابه ، وكان له قصاصه ورواته ، وكان له متلقوه ومتذوقوه .

"وكل ما ورد فى الباب الثانى من هذه الرسالة جديد ، ففى حدود ما طالعت لم أجد من تناول قصص العشق ودرسها دراسة مستقلة واسعة كنوع من الأدب انتشر بين الناس ، وكان يرضى حاجة فى نفوس أصحابه . وكل ما ورد من دراسة حول هذا الموضوع كانت دراسة سريعة عامة ، قد تصوغ بعضا من هذه القصص دون أن تتقيد بعصر من العصور ، صياغة أدبية ، وقد تدرس قصة أو قصتين أو أكثر خلال حديثها العام" .

٢ – أن تكون الشخصية التى يعالجها الباحث غنية ، متعددة الثقافات ، متنوعة الاتجاهات ، متشعبة الامتدادات ، إن الرسائل التى عرضت فى القسم الثانى ، والتى دارت حول شخصية نموذجية من هذا النوع ، مثل الرسائل التى تمت حول طه حسين أو الطبرى أو حازم القرطاجنى أو الجاحظ ، إن رسائل من هذا النوع مكنت الباحث من أن يتعامل مع أفكار

كثيرة ومتنوعة ، بينما نجد رسالة "زغدود فوره" ، والتى دارت حول الشاعر المصرى عبد الرحمن الحميدى ، لم يتعامل مع أفكار كثيرة ، لأن الشخصية هنا ضعيفة تكرر صور الشعراء السابقين .

* * *

وينبغى أن يعرف الباحث الفرق بين إضافته ، وإضافة الشخصية التى يقوم بدراستها ، فقد تكون هناك إضافة للشخصية ولكنها معروفة بين الباحثين ، ولو ذكرها الباحث لما عدت شيئا جديدا من استنتاجات الرسالة . طه حسين مثلا أضاف فى حياته فكرة "التعليم كالماء والهواء" ، وهذه الفكرة محسوبة لطه حسين ، ورددها كثير من النقاد ، فلو جاء باحث جامعى وكتب دراسة عن طه حسين ، ثم ذكر أن رسالته قد توصلت فى نتائجها الأخيرة ، إلى أن طه حسين يعتبر التعليم كالماء والهواء ، لما عد هذا شيئا جديدا يحسب للباحث ، وإن كان فى حقيقته شيئا جديدا بالنسبة لطه حسين .

المقترحات

وقد يعن للباحث أثناء دراساته بعض الملاحظات ، وقد يرى أن يقدم بعض المقترحات للباحثين من بعده ، أو الهيئات الحكومية أو لغير ذلك ومن هنا ينبغى عليه فى خاتمة البحث أن يصوغ تلك المقترحات فى هيئة مبلورة يسهل التقاطها .

إن البحث سلسلة متصلة ، وعملية متواترة ، يندرج فيها الباحث فى سلسلة ويصير حلقة ترتبط بغيرها ، ويرتبط غيرها بها ،فلا يوجد الباحث الذى يبدأ من الصفر ، ولا يوجد الباحث أيضا الذى ينتهى عنده كل شىء ، إذ كل الباحثين يعملون معا من أجل الوصول إلى الحقيقة ، إن تلك النظرة الجماعية لهدف البحث هى التى تؤسس الحضارة المزدهرة والمستمرة دائما ، بحيث يضيف اللاحق إلى السابق ولا يتوقف عنده .

ومن هنا تأتى أهمية المقترحات على أساس أنها علامات فى الطريق تحث الباحثين لكى يتأملوها ،ولسنا هنا بصدد تحديدكم المقترحات ، لأن ذلك يترك لحساسية الباحث التى تحدد له كمية المقترحات ، فقد تكون قليلة أو تكون كثيرة ، وقد تكون مجملة ، وقد تكون مفصلة ، بحسب ما تفرضه طبيعة الموقف ،إن الباحث الذى قدم رسالة (القصة المصرية وصورة المجتمع الحديث) لم يجد الكثير من المقترحات سوى أن يقترح جملة عامة ومجملة فيقول فى نهاية خاتمته :

"إن هذا العمل بصورته تلك هو ما حاولت الرسالة أن تقدمه كنتيجة لدراسة من أربعة أبواب واثنى عشر فصلا ، وكلى رجاء أن تتاح لى أو لغيرى من رفاق الكلمة الفرصة لمتابعة المسير فى درس الأجيال التالية لجيل الرواد من زاوية الارتباط بين الواقع والنتاج الفنى ، فإن هذه الزاوية تحمينا من التجريدات والتهويمات وتربطنا بمجتمع ساهم ايجابا وسلبا فى خلق هذا النتاج الأدبى" .

ولكن الباحث الذى قدم رسالة "قصص العشاق النثرية فى العصر الأموى" رأى أن يكثر من المقترحات وأن يفصل بعضها ، واسمحوا لى بأن أنقل إليكم حديثه حول هذا الموضوع ، ليكون نموذجا لكم وأنتم تضعون اللمسات الأخيرة لخاتمة بحوثكم إن شاء الله .

"ولست أزعم أننى استوعبت كل شىء فى هذا الموضوع ، فما زالت هناك جوانب تغرى

الباحثين بالدرس والاستقصاء : -

١ - فليت من ينهض فيجمع هذا التراث المتناثر فى مختلف الكتب ثم يفهرسه حسب النهاية أو حسب العصر أو حسب الموضوع ، أو كما يحلوله ، ويضمه فى كتاب واحد ، ويذكر المراجع التى استقى منها كل حكاية ولا يقتصر على القصص التهذيبية أو الحكايات التعليمية ، بل يجمع الغث والثمين ، والنافع والضار ، فإن الباحث قد يجد فى الضار نفعا وفى الغث ثراء لبحثه ، وبذلك يوفر على أجيال الباحثين مشقة البحث عن هذه الحكايات ، والتنقير عنها فى مختلف الكتب تنقيرا يستهلك جل الوقت ومعظم الجهد .

٢ - وليت من يشمر لدراسة الشعر فى هذه القصص فيجمعه ويرى منه الموضوع ، أو الذى له أصل فى الدواوين ، ويرى ما يتجه منه اتجاها شعبيا ، أو ما يتجه منه إلى الخاصة ، وسمات كل منهما ، ثم يقارن بين شعر القصص وشعر الدواوين ، ويسجل ما يجره إليه البحث ، فقد يجره إلى جوانب ثرية تلقى الضوء على كثير من المشكلات المعاصرة كمشكلة الشعر العامى فنرى فيما إذا كان هذا الشعر تطورا لأوزان كانت شائعة بين الناس منذ العصور القديمة ، ونحدد من ذلك الموسيقى التى يميل إليها عامة العرب ، أو كمشكلة الشعر الحر وهل هو إثبات لعجز الأوزان الخليلية وقصورها عن إظهار الحركات النفسية وعن مواءمة المواقف الداخلية ، أو أن هذه الأوزان قادرة على ذلك .

٣ - وليت هناك من يعيد النظر فى مناهجنا الدراسية فإنها محتاجة إلى أن تهتم بهذا التراث إلى جانب اهتمامها بالنواحى الأخرى ، فقد اطلعت على كتاب وزارة التربية والتعليم (جمهورية مصر العربية) فى الأدب والنصوص والبلاغة المقرر على الصف الأول من المرحلة الثانوية ، على أحدث منهج فى ذلك الحين (١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م) فوجدت أن هذا الكتاب حين تعرض للنثر الإسلامى ، تحدث عن القرآن ، وعرض للأحاديث النبوية ، ثم للخطب والوصايا ثم للرسائل .

وليس هذا فقط مع أهمية ما أريده ، لا أريد أن نكتفى بدراسة رسائل عبد الحميد ، أو بدراسة خطب الحجاج ، ثم نضرب الأمثلة والنماذج على ذلك . بل أريد أن نهتم إلى جانب ذلك بدراسة هذه القصص ، التى انتشرت بين الناس ونجد نماذج حية من قصص العشق ، فيها اللغة المشرقة ، والخيال المبتكر ، وفيها ما يرقق الحس ويهذب العواطف ، ويعلم النشء كيف

يتسامون بعواطفهم وكيف يغلبون واجبهم على رغباتهم إذا اصطدما .

وقد جمع الأستاذ محمد أحمد جاد المولى وزميلاه طائفة من هذه القصص فى الجزء الرابع من كتابهم "قصص العرب" ، وكذلك فعل الأستاذ موسى خليل سليمان فقد أورد للطلاب نماذج من الحكايات الغرامية فى الجزء الثانى من كتابه "يحكى عن العرب" ، وكان يعقب على كل حكاية بالدرس والتحليل ، ويورد أسئلة للطالب تدور حول مناقشة الحكاية وما فيها .

٤ – وليت الجهود من الأدباء تبذل لاستغلال هذا التراث الخصب فى نواح مثمرة :

أ – إذ من الممكن عرض هذا التراث بأسلوب فنى ، وبطريقة جذابة ، وبصياغة تؤثر على النفوس كما فعل الأستاذ أحمد حسن الزيات ، حين صاغ قصة (وضاح اليمن) مع روضة ومع أم البنين – تحت عنوان "مأساة الشاعر وضاح" – صياغة أدبية أراد منها كما يقول : أن يصور الحياة البدوية والبيئة العربية .

ب – ومن الممكن استغلال هذه القصص فى مسرحيات شعرية ، وإذا كان أحمد شوقى قد ألف مسرحية "مجنون ليلى" ، وعزيز أباظة ألف مسرحية "قيس ولبنى" ، فما زالت هناك قصص كثيرة صالحة لخلق عمل فنى جذاب كقصة ابن الطثرية . فلو أن فنانا موهوبا تناولها لاستطاع أن يخلق منها عملا يضارع عمل رميو وجوليت ، ولاستطاع الكشف عن عادات القبائل ، وعن حياتها ، وعن اقتصادياتها ، وعن مركز المرأة فى البادية .

جـ – ومن الممكن جعل هذا التراث نقطة انطلاق لخلق قصص فنية رائعة ، وخذ لذلك مثلا قصة "وضاح اليمن" فلو رجعت إلى هذه القصة فى المصادر العربية فستجدها قصة قصيرة تنتهى عند اختفاء وضاح فى الحفيرة ، وبعض الروايات تخطو خطوة أخرى وتذكر أن أم البنين كانت تأتى إلى المكان فتبكى فيه ، إلى أن وجدت يوما مكبوبة على وجهها ميته .

هذه القصة كما هى فى المصادر العربية قصة فقيرة لو قارنتها بقصة شبيهة لها ، وجدت عند قوم آخرين وفى عصر موغل فى القدم ، وهى قصة "أوزوريس وايزيس" فإن ايزيس لم تكتف بالموقف السلبى الذى وقفته أم البنين تبكى ثم تموت ، بجانب قبر الحبيب على أحسن الروايات ، بل جعت تبحث عن حبيبها الذى مزق أربا والقيت إشلاؤه فى النيل ، فجعلت تجمع هذه الأجزاء وتركب الصعاب وتتخطى العقبات ، حتى استطاعت أن تجمع أشلاء زوجها ، وأن

تعيد إليه الحياة وأن تنتصر على إله الشر .

لو أن كاتبا تناول قصة وضاح اليمن ، وطوعها لأفكار راقية ، ورمز بها إلى صمود الإنسان أمام العقبات ، واستخفافه بالمثبطات التى تجابهه فى سبيل إيمانه بفكرة ، أو بحثه عن مثل ، أو تعلقه بهدف ، لو فعل هذا الكاتب ذلك ، لخطى خطوة محمودة فى طريق إثراء الأدب العربى بأ دب البحث ، الذى ما زلنا فى حاجة ماسة إلى نماذج كثيرة منه" .

إن ذكر المقترحات يحث الباحثين على التقاطها ، وقد تأتى فكرة عارضة ، أو مقترح صغير من الطالب ، وقد لا يلقى أهمية لاقتراحه ، ولكن يحدث أن الله قد يهيئ أحدا من الباحثين وقد يكون هذا الباحث من جيل تال ، فيلتقط هذا الاقتراح العارض ويحوله إلى بحث كبير أو رسالة مستقلة ، إن رسالة "قصص العشاق النثرية" التى تزيد على إربعمائة وستين صفحة من القطع الكبير ، قد كانت فى أساسها مجرد اقتراح من الدكتور طه حسين .

إن الدكتور طه حسين فى كتابه "حديث الأربعاء" قد عرض بعض نماذج لقصص العشاق فى العصر الأموى ، فتعرض مثلا لقصة "مجنون ليلى" "وقيس ولبنى" "ووضاح اليمن" وابن الطثرية" ، ثم استنتج من كل ذلك أن هناك نوعا من الفن ينتشر فى العصر الأموى ، وسمى هذا النوع بالحكايات الغرامية ، ورجا أن يأتى أحد من الباحثين فيدرس هذا النوع من الأدب ، وبعد سنوات كثيرة من اقتراحه تحول رجاؤه إلى حقيقة علمية .

المستقبل

والحديث عن المستقبل فى خاتمة الرسالة ، أمر يخفى على الكثير من الباحثين ، ولا يبرزونه فى نهاية رسائلهم ، مع أنه مشروع ومهم .

أما أنه مشروع فهو يأتى نتيجة مصاحبة للدراسة ، تجعل التنبؤ بمستقبل الموضوع أمرا يقوم على أسس ، وربما تفضى إلى نتائج أخر .

وأما أنه مهم فهو يضىء مستقبل الموضوع ، ويكشف عن جوانب تحتاج إلى متابعة .

والحديث عن المستقبل ليس مجرد رجم بالغيب ، لأنه مرتبط بالموضوع الذى يعايشه الباحث ، ويصبح جزءا من حياته ، أو كواحد من أبنائه .

والأب يسعد حين يتنبأ بمستقبل باهر لواحد من أبنائه ، يعرف أنه يملك قدرات خاصة . وقد يقلق من أجل مستقبل ابن آخر ، يخلو من تلك القدرات ، ويعد العدة لكى يعوضه هذا فى مستقبل حياته .

وكذلك الباحث مع موضوعه ، يتنبأ بمستقبله نتيجة معايشته له ، فقد يحس أن هذه الشخصية التى يدرسها ستبقى لأنها تحمل إمكانية البقاء ، أو أن فكرة ما فى موضوعه ربما تبدو عارضة ، ولكنها سوف تختمر فى المستقبل ، وتتحول إلى ظاهرة ، وقد يتنبأ بصعاب تقف أمام نمو موضوعه ، ويدفع الباحثين أو أهل الاختصاص إلى مجابهة تلك الصعاب .

فالحديث عن المستقبل هنا ، يقوم على أسس من الماضى ، ويثير أمالا فى المستقبل ، وتزداد أهميته حين يكون الموضوع ظاهرة ، أو مذهبا أدبيا أو فكريا ، يرتبط بالناس ، وبمستقبل الأجيال .

وهنا السبب فى أن خاتمة الجزء الثانى من كتاب "الوسطية العربية" ، قد خصصتها كلها للحديث عن مستقبل هذه الظاهرة .

فالوسطية مذهب أدبى وفكرى نابع من تراثنا .

ولكننا نفتقد هذا المذهب فى لحظتنا المعاصرة ، بسبب التبعية للمذاهب الوافدة . ونتيجة

لذلك قد نحس بالحسرة ، وربما باليأس .

وهنا يأتى الحديث عن مستقبل الوسطية أمرا ضروريا ، يمثل أصالتنا من ناحية ، ويبعث فينا التفاؤل من ناحية أخرى .

ولم يكن حديثى عن مستقبل الوسطية شيئا مجردا ، بل كان نابعا من تركيبة هذا المذهب . فهو يحمل فى ثناياه العدالة والحركة ، وهما كفيلان ببعث الحياة فيه من جديد .

ولكن هناك صعابا تقف دون العدالة ودون الحركة ، ولم يكن ذكر هذه الصعاب من باب الحسرة أو اليأس ، ولكنه دعوة إلى مجاوزة تلك الصعاب ، كهذا الأب الذى يحس ناحية ضعف فى ابنه الحبيب ، فيعد العدة لتوقعات المستقبل .

ملاحـق الرسـالة

توضع ملاحق الرسالة عادة بعد الخاتمة وقبل الفهارس .

وإذا كان "التمهيد" يتعلق بالأفكار ، التى ليست من صلب الرسالة ، ولكنها تضىء الرسالة ، فإن "الملاحق" تتعلق بالاشكال والوثائق التى ليست من صلب الرسالة ، ولكنها تضىء الرسالة أيضا .

والملاحق تختلف من رسالة إلى رسالة ، فقد تكون الرسالة فى التحقيق ، وتتضمن ملاحق عن غلاف الكتاب ، أو نماذج من خط المخطوطة . وقد تكون الرسالة عن ترجمة لكتاب فتورد الملاحق نموذجا من الأصل ، أو مسودة للمترجم . وقد تكون الرسالة عن موضوع يحتاج إلى خريطة ، أو شكل ، أو جدول . وقد تكون عن موضوع تربوى ، فتتضمن الملاحق ، اقتراحا لاستمارات واختبارات وعينات ، أو اقتراحات لكتاب التلميذ أو لكتاب المعلم .

فليست هناك صيغة محددة للملاحق ، وأمر ذلك متروك للباحث ، وتقديره لموضوع رسالته بشرط ألا تطول الملاحق بطريقة عشوائية غير مفيدة ، يكون الغرض منها تضخيم حجم الرسالة ، والايهام بعمل أكاديمى خطير ، كما هو الحال فى الملاحق التى أوردها الدكتور السنوسى فى رسالته عن الأمالى الأدبية .

وهنا يمكن أن نشير إلى بعض الملاحق المهمة ، والتى تتوارد بكثرة فى أعمال الدارسين ، وذلك كالآتى : -

١ - الببلوجرافيا .
٢ - الأشكال التوضيحية من جداول وخرائط ورسوم .
٣ - المصادر والمراجع .
٤ - الفهارس .

الببلوجرافيا

حين عايشت الغرب فترة ، اكتشفت أن جامعة مثل "اكسفورد" لا يقف دورها عند تخريج الطلاب ، أو منح الرسائل الجامعية ، بل يتعداه إلى نشر الأعمال الببلوجرافية ، التى تقدم "فهرست" وافيا للفنون الأدبية ، أو لأعلام الفكر والأدب ، أو نشر القواميس والمعاجم وكتب المصطلحات لمختلف فروع المعرفة الانسانية ، سواء كانت من نتاج الحضارة الغربية أو من نتاج الحضارات الأخرى ، لقد أحسست أن جامعة مثل جامعة اكسفورد أو كامبردج ، تتواجد فى كل بيت ، وفى كل ركن ، عن طريق منشوراتها الجامعية التى لا يستغنى عنها أحد . وبذلك يصبح سهلا على الباحث فى تلك المجتمعات المتحضرة ، أن يجد مادة بحثه متيسرة ، ويتلخص دوره فى تحليل تلك المادة ، ومحاولة الاستنتاج ، أما الباحث فى العالم العربى فإنه يبدأ من الصفر ، ويقوم بالدورين فى وقت واحد ، يجمع المادة ، ثم يقوم بعد ذلك بتحليلها ، وتذكرت معاناتى أثناء الدكتوراه ، كنت أود معرفة تراجم لبعض الشخصيات قريبةمهد بحياتنا الثقافية مثل أحمد خيرى سعيد ، وعيسى عبيد ، ومنصور فهمى ، وأحمد ضيف ، ومع ذلك لا تسعفنى المصادر بشىء من هذا ، فأضطر إلى التنقيب والرجوع إلى المجلات ، ومقدمات الكتب ، علّنى أعثر على مادة الدراسة ، التى يجب أن تكون بداية ميسرة أمام أجيال الباحثين عن طريق الفهارس والموسوعات .

إنما تقاس الحضارة بمقدار أنجازها فى مجال الأعمال الموسوعية ، فلا حضارة دون هذه الخطوة الأولية فى طريق العلم والابتكار ، وقديما كانت لنا حضارة عربية مزدهرة ، فكان طبعيا أن تنجز الكثير فى مجال العمل الموسوعى ، وتكاد لا تجد صعوبة فى محاولة التوصل إلى معرفة شىء عن تاريخ حياة أديب أو عالم ، فكتب التراجم والسير والطبقات ميسرة ومحققة ، وتكاد لا تتعب كثيرا فى معرفة "مادة" علمية أو أدبية ، فكتب المنتخبات والأمالى تملأ أرفف المكتبات ، أما حديثا فاننا نأخذ الأمور بخفة ، فقد نتهم مثل هذه الأعمال الكبيرة ، بأنها مجرد جهود "عضلية" تخلو من الابتكار والجهد التأليفى .

ومن هنا أخذت على عاتقى عقب عودتى ، بأن أكلف طلابى إعداد ملاحق ببلوجرافية مع الرسائل ، تقدم "فهرست" تاريخيا للأعلام والفنون والموضوعات ، حقا كان الطالب يعانى من ذلك الكثير ، فهو أمام تكليف تنهض به الهيئات والمؤسسات فى الخارج ، ولكن الطموح وحماسة

الشباب وإثبات الذات يمكنه فى النهاية من تحقيق الهدف المنشود .

والآن أضع أما القارئ أمثلة لهذه الأعمال الببلوجرافية التى أشرفت عليها مع طلاب الماجستير والدكتوراه ، ولا أبغى من ذلك الافتخار بصنيع هؤلاء الطلاب ، فهم يعملون فى صمت العلماء ، الذين يعرفون أن الافتخار والإعلان قد يسىء إلى مسيرة الإخلاص والتفانى ، ولكنى أضعه أمام القارئ فقد يفيد فى مشواره العلمى من هذه الجهود الرائدة ، وقد يغرى كل ذلك إحدى المؤسسات الحكومية ، أو الهيئات الخاصة بنشر هذه الأعمال وتيسيرها لأجيال الباحثين :

١ – هارون الرشيد فى المصادر العربية ، وهو ملحق لرسالة الماجستير تحت عنوان "شخصية هارون الرشيد فى الأدب العربى" مقدمة من الدكتور حسن إسماعيل ، إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب – جامعة المنيا .

٢ – الأعلام النسائية فى السير الشعبية ، وهو ملحق لرسالة الدكتوراه تحت عنوان "قضية الانتساب ودور الأم فى السير الشعبية" والمقدمة من الدكتورة هيام على حماد ، إلى قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة المنيا .

٣ – القصة القصيرة فى مصر وحتى سنة ١٩٨٥ ، ملحق لرسالة الماجستير ، تحت عنوان "الظواهر الفنية فى القصة القصيرة المعاصرة" ، والمقدمة من الدكتور مراد عبد الرحمن مبروك ، إلى قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة المنيا .

٤ – دليل القصة القصيرة فى مصر ، فى الربع الثالث من القرن العشرين ، ملحق لرسالة الدكتوراه تحت عنوان "الظواهر الفنية للقصة القصيرة فى مصر ، فى الربع الثالث من القرن العشرين" ، والمقدمة من الدكتور ماهر الملاح ، إلى كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر – فرع أسيوط ، إشراف الأستاذ الدكتور عبد السلام عبد الحفيظ عبد العال – وكان لى فقط شرف المساهمة فى المناقشة .

٥ – مصادر الأدب العربى فى نيجيريا ، ملحق لرسالة الدكتوراه تحت عنوان "الأدب العربى النيجيرى" والمقدمة من الدكتور/ محمد نجيب التلاوى ، إلى قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة المنيا .

٦ – الرواية النسائية ، ملحق لرسالة الماجستير ، تحت عنوان "الروائية النسائية وقضايا

المرأة" والمقدمة من الباحثة سوسن ناجى ، إلى قسم اللغة العربية – كلية الأداب – جامعة المنيا .

٧ – الأعمال الأدبية لمدرسة الفجر ، ملحق لرسالة الدكتوراه تحت عنوان "مدرسة الفجر وتأثيرها فى مسيرة الحركة الأدبية فى مصر "والمقدمة من الدكتور/ محمد عبد الحكم عبد الباقى ،إلى قسم اللغة العربية – كلية الأداب – جامعة المنيا .

٨ – الشعر فى تفسير الطبرى ، ملحق لرسالة الماجستير تحت عنوان "الشواهد الشعرية فى تفسير ابن جرير الطبرى" ، والمقدمة من الباحث بشير محمد ، إلى كلية الدراسات العربية – جامعة المنيا .

٩ – أعلام الكدية ، ملحق لرسالة الدكتوراه تحت عنوان "ظاهرة الكدية فى الأدب العربى الفصيح ، نشأتها وخصائها الفنية" والمقدمة من الدكتور حسن اسماعيل ، إلى كلية الدراسات العربية – جامعة المنيا .

١٠ – مجلة لقمان ، ملحق لرسالة الماجستير تحت عنوان "حكمة لقمان فى التراث العربى" والمقدمة من الباحث : سعيد الطواب ، إلى قسم اللغة العربية – كلية الأداب – جامعة المنيا .

١١ – صورة الدم فى شعر أمل دنقل ، ملحق لرسالة الماجستير تحت عنوان «صورة الدم فى شعر أمل دنقل» ، والمقدمة من الباحث : منير فوزى ، إلى كلية الدراسات العربية – جامعة المنيا .

* * *

وواضح مما سبق أن البيلجرافيا عبارة عن فهرست للأعمال الأدبية المنشورة فى كتب أو دوريات ، مع توثيق تلك الأعمال فى مصادرها الأصلية ، ومع كتابة مقدمة للبيلجرافيا تتحدث عن أهمية عمله وعن رموزه التى يستخدمها فى البيلجرافيا . فهى إذن تختلف عن كلمة (أوتوبيجرفى) أو (بيجرفى) والتى كثيرا ما تختلط فى ذهن الباحث فكما قلنا أن البيلجرافيا هى عملية فهرسة ، أما (البيوجرفى) فهى عملية ترجمة للشخصية Biographg تتحدث عن ميلادها ، وأهم أعمالها ووفاتها وغير ذلك من معلومات تدور حول الشخصية .

أما (الأتوبيوجرفى) فهى سيرة تقدمهاالشخصية عن نفسها Autobiographg أو

نسميها عادة السيرة الذاتية المقابلة للسيرة الغيرية .

* * *

وأهمية الببلوجرافيا أنها تيسر الثقافة أمام الباحث ، وتعينه على تتبع مصادره ، وتوفر عليه الخطوة الأولى وهى معرفة المؤلفات والدوريات فى موضوع بحثه .

ومن ناحية ثانية فإن هذه الأعمال الببلوجرافية ، تخضع لعملية قراءة من الباحث ، فهو يستطيع آن يعرف أهمية الشخصية من تكرارها فى المصادر والمراجع ، إن شخصية مثل شخصية هارون الرشيد هى بلا شك شخصية نموذجية ،وانبثت أخبارها وطرائفها فى معظم المصادر الأدبية والتاريخية والثقافية ، كما تدل على ذلك تلك الببلوجرافيا التى أوردها الدكتور حسن اسماعيل .

والببلوجرافيا تساعد الطالب أيضا على اختيار موضوع رسالته ، فهو يستطيع أن يعرف من الببلوجرافيا المؤلفات التى قامت بها شخصية ما ، أو المؤلفات التى كتبت عنها ، وفيما إذا كانت هذه الشخصية مادة ثرية لعمل رسالة جامعية ، إن القارئ للببلوجرافيا التى أوردها الدكتور/ محمد عبد الحكم عبد الباقى عن أعلام مدرسة الفجر ، يدرك أن الكثير من هؤلاء يمكن أن يصلحوا موضوعا لرسالة جامعية ، بسبب غزارة المؤلفات التى كتبوها ، أو التى كتبت عنهم ، وذلك مثل إبراهيم المصرى وأحمد خيرى سعيد ، ومحمود طاهر لاشين .

الأشكال التوضيحية

وهى عبارة عن الخرائط والجداول والأشكال التى يحيل إليها الباحث خلال رسالته .

وهذه الأشكال تختلف باختلاف موضوع الرسالة ، فالموضوع هو الذى يقترح أشكاله التوضيحية .

كتاب "القصة اليمنية المعاصرة" مثلا ، يتحدث عن جنس أدبى جديد ، وفى بيئة لا تهتم بالتوثيق والمكتبات ودور الكتب ، وتضيع فيها المجلات والصحف ومن هنا أورد المؤلف بعض الملاحق فى نهاية الكتاب ، تشير إلى المجلات ، وتحصى المقالات النقدية ، والمجموعات القصصية ، والروايات ، وتوثق أماكن النشر وتواريخ النشر ، وغير ذلك مما تحتاجه تلك البيئة .

رسالة "الأدب العربى النيجيرى" تبحث عن الأدب العربى فى بيئة غير مألوفة عندنا ، ولا تجد الكثير من الاهتمام ، ومن هنا أورد الباحث الدكتور/ محمد نجيب التلاوى بعض الملاحق والخرائط ، التى توضح هذه البيئة وتضاريسها وظروفها التاريخية والجغرافية .

الجزء الثانى من كتاب "الوسطية العربية" يعقد فصلا عن "الفن" ويجد المؤلف نفسه محتاجا إلى بعض الأشكال الفنية ، التى توضح بالصورة مفهوم الفن العربى ، وتقارن بالصورة أيضا بين مفهوم الفن العربى ، ومفهوم الفن الاغريقى والأوروبى .

أما الجزء الثالث من كتاب "الوسطية العربية" فهو يبحث عن وسطية معاصرة ، وفى عصر البترول والاستهلاك ، ولغة الأرقام والجداول ، ومن هنا أورد المؤلف فى نهاية الكتاب بعض الجداول والاحصائيات التى استنتج منها قضاياه المعاصرة .

ومن كل هذا نرى أن الاشكال التوضيحية تختلف من رسالة إلى أخرى حسب ما يقتضيه الموضوع ، فقط يجب أن تكون مفيدة فى بابها ، غير محشورة من باب المباهاة والاستعراض ، أو تضخيم حجم الرسالة .

المصادر والمراجع

سبق أن شرحت فى المقدمة بشىء من التفصيل ، الاضطرابات والاختلافات حول كتابة المصادر والمراجع ، نتيجة فقدان التقاليد الجامعية التى تضم الجميع تحت أسس موحدة ومتفق عليها .

ولن أعيد ما قلته من قبل ، فقط أشير هنا إلى الطريقة التى ارتضيها فى كتبى ومع طلابى ، وهى على النحو الآتى : -

تكتب المصادر والمراجع فى نهاية الرسالة ، بعد الأشكال التوضيحية وقبل الفهارس .

يكتب عنوان الكتاب أولا ، يليه اسم المؤلف ، فاسم المترجم أو المحقق ، ثم نفتح قوسا كبيرا نضع داخله مكان صدور الكتاب ، واسم الناشر أو الطابع ، ثم تاريخ الطبعة بالهجرى أولا وبالميلادى ثانيا ، أما إذا كان الكتاب خلوا من التاريخ ، فيكتفى باصطلاح د . ت ، وأخيرا يقفل القوس .

ترتب عناوين الكتب هجائيا وليس أبجديا ، وذلك لصعوبة الترتيب الابجدى ، وأعنى بالترتيب الهجائى ذلك الترتيب الذى يعتمد على حروف الهجاء (أ . ب . ت . ث جـ . حـ .... إلخ) ، أما الترتيب الابجدى فهو الذى يعتمد على حروف الابجدية (ابجد هوز حطى ... إلخ) .

لا يراعى فى الترتيب حرف التعريف (ال) ويبتدأ بالحرف الذى يليه .

لا عبرة لما يسميه الصرفيون بالحروف المجردة والحروف المزيدة ، فنحن هنا إزاء عنوان أو إزاء علم ، ولا أهمية لوزنه الصرفى .

نبدأ بذكر المصادر أولا وترتيبها هجائيا ، فالمراجع ، فالمترجمات ، فالمؤلفات الأجنبية ، فالمخطوطات ، فالرسائل الجامعية ، وأخيرا الدوريات ممثلة فى الصحف والمجلات .

ولكن موضوع البحث فى بعض الحالات قد يكون شاملا ، أو يتناول نظرية عامة كالوسطية ، تنبث مصادرها فى مختلف المؤلفات وعلى مختلف العصور ، ويكون من الصعب الفصل بين المصادر فى موضع والمراجع فى موضع آخر ، فيكتفى فى مثل هذه الحالة أن توضع المصادر والمراجع معا ، فى مكان واحد دون تفريق .

الفهارس

موضع الفهرست دلالة جديدة على الاضطراب ، وفقدان التقاليد العلمية فى المؤلفات العربية بوجه عام ، وفى الرسائل الجامعية بنوع خاص .

فبعض الباحثين يكتب الفهرست آخر الرسالة ، تأثرا بالمؤلفات الإنجليزية ، التى تضع الفهرست أول الكتاب .

وبعض الباحثين يكتب الفهرست آخر الرسالة ، تأثرا بالمؤلفات الفرنسية ، التى تضع الفهرست آخر الكتاب .

حتى عنوان الفهرست يبدو فيه اضطراب واختلاف ، فهو يتردد بين الفهرست ، أو فهرست ، أو محتوى البحث ، أو موضوعات الرسالة ... إلخ .

وليس هذا أمرا شكليا ، فلا أهمية لأن يكتب الفهرست أول الرسالة أو آخرها ، ولا أهمية فى استخدام أى ترادف مادام يؤدى الغرض . ليس الأمر كذلك ، فالبحوث والرسائل الجامعية ، هى مجموعة تقاليد يتفق عليها أصحاب الثقافة الواحدة ، تحميهم من الاضطراب ، وتحفظ لهم الوقت ، فبدلا من أن أبحث عن الفهرست أول الرسالة ، ثم لا أجده فاضطر إلى تقليب الأوراق والبحث عنه آخر الرسالة ، بدلا من هذا الاضطراب يمكن الاتفاق على وضع الفهرست فى أول الرسالة أو فى آخرها ، ويجده القارئ من الخطوة الأولى .

إن مثل هذا الاضطراب فى ثقافة ما ، يدل على أن هذه الثقافة لم تتبلور بعد فى مجموعة اتفاقات أو تقاليد ، فهى تتردد بين الثقافات المختلفة ، بحسب رغبة كل مؤلف على حدة .

إن وقت قارئ واحد يضيعه فى تقليب الأوراق بحثا عن الفهرست ، يضيع مثله آلاف القراء الآخر فى مثل تلك العملية ، وتكون النتيجة كمية كبيرة من الوقت قد أهدرت فيما لا طائل تحته .

* * *

وازاء هذا الاضطراب ، اتفق مع طلابى بداية على أمرين : –

الأمر الأول : وضع الفهرست فى نهايةالرسالة ، ليس تأثرا بالمؤلفات الفرنسية ، ولكن اقتداء بالمؤلفات العربية القديمة التى تضع الفهرست فى النهاية ، وشاهد ذلك نسخة القرآن الكريم ، المتداولة بيننا ، فهى تضع الفهرست فى نهاية المصحف الشريف .

الأمرالثانى : استخدام كلمة "الفهرست" بلام التعريف ، فهى تشير أولا إلى فهرست معرفة ، هو ذلك الفهرست المعين الذى أضعه فى نهاية الرسالة ، والذى يشير إلى موضوعات معينة وهى ثانيا عنوان لكتاب شهير ومتداول ، هو كتاب ابن النديم .

وكلمة "الفهرست" إذن تغنى عن التردد بين كلمات أخرى ، مثل : –

محتوى البحث ، أو موضوعات الرسالة ، أو ثبت الموضوعات ، أو قائمة الموضوعات ، أو غيرذلك .

* * *

والفهارس أنواع ، فقد تكون هناك فهارس عن الموضوعات ، أو عن الأمكنة ، أو عن الأعلام ، أو عن أسماء النبات ، أو الحيوان أو غير ذلك .

وليست هناك كمية محددة للفهارس ، فهى تختلف باختلاف الموضوع من حيث الأهمية أو النوعية .

فإذا كان الموضوع عن تحقيق المخطوطات مثلا ، فإن الفهارس تبدو فى غاية الأهمية ، وتعتبر جزءا من العمل العلمى ، وتقاس قيمة الكتاب المحقق بقيمة فهارسه وتنوعها عن الأعلام ، أو القوافى ، أو الأمكنة ، أو الأحاديث النبوية ، أو الآيات القرآنية ، وغير ذلك .

* * *

وفى رسائلى الجامعية ، أقترح عادة على طلابى فهرستين : –

الأول : الفهرست التفصيلى ، ويشير إلى العناصر الرئيسية للرسالة ، وتكمن أهميته فى أن يذكر القارئ بخيوط الرسالة إذا أراد أن يستجمعها فى مناسبة ما بدلا من أن يعيد قراءتها من جديد ، ثم يختار العنصر الذى يحتاجه ، ويراجعه من جديد داخل الرسالة .

وقد أوردت فى القسم الثانى من هذا الدليل ، وهو القسم التطبيقى ، نماذج لبعض

الفهارس التفصيلية ، يمكن للطالب أن يراجعها ، وذلك مثل :

١ – الفهرست التفصيلى لرسالة الدكتور/ صفوت عبد الله عن حازم القرطاجنى .

٢ – الفهرست التفصيلى لرسالة سعيد الطواب عن حكمة لقمان .

* * *

أما الفهرست الثانى ، فهو الفهرست العام ، ويمثل الحد الأدنى المطلوب من كل رسالة ، وهو فهرست يكتفى بذكر عناوين الأبواب والفصول وأرقام الصفحات .

وقد أوردت أيضا فى القسم الثانى من هذا الدليل ، الفهرست العام لكل رسالة ناقشتها ، وذلك كنموذج للفهارس من ناحية ، واطلاع ، من ناحية أخرى على خطة الرسالة فى صورتها النهاية ، المعدة للمناقشة من لجنة التحكيم .